مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

نحو مقاربة معرفية لأنطولوجيا الكواليا:

دراسة في فلسفة العقل

د. علي محمد عليان عبدالرازق

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب– جامعة المنيا

DOI: 10.21608/qarts.2023.206377.1669

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٢) العدد (٥٩) أبريل ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

نحو مقاربة معرفية لأنطولوجيا الكوالميا:

"دراسة في فلسفة العقل"

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على الطبيعة الأنطولوجية للكواليا لدى فلاسفة العقل المعاصرين. وتحقيقًا لهذا الهدف كان من الضروري أن يُكشف النقاب عن: مفهوم الكواليا، نشأتها، وجذورها، ثم نعرض لموقف فلاسفة العقل المعاصرين من الكواليا، حيث نجد أن هناك اتجاهين متعارضين إزاء الطبيعة الأنطولوجية للكواليا، هما: الاتجاه الأول والذي يؤمن بوجود الكواليا ويعدها أمرًا واقعيًا لا محالة"، والاتجاه الثاني الذي يعارض وجود الكواليا، وينظر إليها على أنها خيال محض. بالتالي كان من الضروري أن يعرض الباحث في هذا البحث للآراء التي استند إليها كل اتجاه من هذين الاتجاهين، ثم يقوم بعرض وجهة نظره تجاه هذين الاتجاهين المتعارضين، محاولًا عمل مقاربة معرفية بين هذين الاتجاهين، كما سوف يتضح من خلال تلك الدراسة.

الكلمات المفتاحية:الكواليا، الاستبطان، حجة الطيف المعكوس، الهوة التفسيرية، الوعي.

المقدمة:

مما لا شك فيه أن مشكلة النفس والجسد هي مشكلة قديمة–حديثة؛ إذ لا يخلو عصر من العصور التي مرت بها الفلسفة إلا وقد تحدث عن تلك المشكلة. غير أننا نلاحظ أن فلاسفة العصر المعاصر– على وجه التحديد– قد تناولوا هذه المشكلة تحت مسميات عديدة، منها: طبيعة العقل، تصور العقل، ومشكلة العقل والجسد، كما نظروا إليها على أنها موضوع أصيل من الموضوعات التي تهتم بها فلسفة العقل. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حيوية هذه المشكلة.

وتأكيدًا لذلك فلو نظرنا إلى العصر اليوياني فنجد أن (فيلون السكندري ٢٠ق.م–٥٠م)– على سبيل المثال– يرى أن الإنسان يتألف من نفس وجسد، ولكنه يميل إلى تمييز النفس عن الجسد متأثرًا في ذلك بـ" أفلاطون" الذي نظر إلى الجسد على أنه مصدر للشرور. ونظرة إلى فترة العصور الوسطى الأوروبية نجد أن القديس(أوغسطين ٣٥٤–٤٣٠)– على سبيل المثال– يرى أن الإنسان يتألف من نفس وجسد، ولكنه آمن بجوهرية النفس ومغايرتها للبدن وتجلى ذلك في كتابه الاعترافات، حيث نجده يؤكد على أن الجسم شيء والنفس شيء آخر. ووصولًا إلى فلاسفة الإسلام فنجد أن الفكر المسيطر آنذاك يرى أن الإنسان يتألف من نفس وجسد، حيث كان المسلمون– أمثال:(ابن سينا ٩٨٠–١٠٣٧)– يرون أن الإنسان يتألف من نفس مجردة، وجسد مادي، وأن الحالات الداخلية ما هي إلا أعراض للنفس المجردة. بالتالي، فالنفس الإنسانية ما هي إلا جوهر يختلف اختلافًا تامًا عن الجسد المادي، لدرجة أنهم قد اعتبروا الاختلاف الموجود بين النفس والجسد ضرورة من الضروريات الرئيسة في الفلسفة الإسلامية.

غير أننا نجد أن هناك عددًا لا بأس به من الفلاسفة الغربيين في العصر الحديث والمعاصر قد أبحروا ضد التيارات سالفة الذكر؛ وذلك لأن بعضًا من الفلاسفة الغربيين قد أكدوا على النزعة الفيزيائية للإنسان، أي كون النفس الإنسانية مادة، وبعضًا آخر من الفلاسفة الغربيين والذين تشيعوا للمذهب الإقصائي قد رفضوا أي شيء يسمى بالنفس، أو الحالات الذهنية كالإرادة والرغبة، مؤكدين على ضرورة وجود الدماغ والحالات الدماغية؛ وبالتالي رفضوا وجود الذهن أصلًا، وذهبوا إلى القول بأن الحالات الذهنية لا تتمتع بأية خصائص مادية.

وإحقاقًا للحق، يعد " ديكارت" (١٥٩٦-١٦٥٠)من الفلاسفة الغربيين القلائل والذي كان قريبًا إلى حد كبير من الفلاسفة المسلمين عند تناوله لمشكلة النفس والجسد؛ حيث نجده ينظر إلى النفس الإنسانية على أنها ذات طبيعة لا مادية، ومستقلة استقلالًا تامًا عن الجسد، وهذا الأمر هو الذي جعله ينظر إلى الإنسان على أنه يجمع أضدادًا متعددة، وأن النفس مغايرة للجسد، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على اختلاف النفس عن الجسد اختلافًا تامًا.

وعلى الرغم من ذلك، وجد "ديكارت" صعوبة في التوصل إلى تفسير متسق بين النفس والجسد، تلك الصعوبة التي ورثتها كل أشكال الثنائية الجوهرية. الأمر الذي أدى إلى اختفاء الثنائية الجوهرية تقريبًا في فلسفة العقل في القرن العشرين، باستثناء مهم لدى كل من (كارل بوبر١٩٠٢-١٩٩٤) و(جون اكلز١٩٠٣-١٩٩٧)؛ إذ رأى كلاهما أنه يوجد عالمان كل منهما مستقل تمامًا عن الآخر، أقصد عالم الأشياء والحالات المادية وعالم حالات الوعي، وكل عالم من هذين العالمين مستقل ومتميز عن الآخر ويتفاعل مع الآخر. ومع ذلك لم تسلم هذه الآراء الحديثة من الصعوبة ذاتها، أقصد صعوبة تقديم تفسير متسق للعلاقات العلية بين النفس والجسد وظهرت

مشكلات أخرى لا حصر لها، مثل استحالة التوفيق بين الثنائية الجوهرية والفيزياء(درويش،٢٠٠٩، ص ١٤)

ونتيجة لذلك وجدنا بعض الفلاسفة الغربيين المعاصرين ينظرون إلى مشكلة النفس والجسد على أنها لغز محير للفلاسفة والعلماء على حد سواء. ولذا فليس مستغربًا أن نجدهم يقومون بإجراء الكثير من المحاولات؛ بهدف التوصل إلى حل لهذه المشكلة العويصة. وقد تجلت هذه المحاولات في قيامهم بالكثير من المناقشات الجدلية بشأن مشكلة النفس والجسد، تلك المناقشات التي كانت ترتكز على فهم طبيعة وخصائص الوعي، وكيف أن هذا الفهم يمكن أن يستخدم في حل لغز العقل والجسد معًا.

وقد أسفرت هذه المناقشات عن تفسيرات مختلفة للوعي، حيث تم تقسيم الوعي إلى مفهومين منفصلين عن بعضهما البعض، هما: الوعي كما هو، والوعي كما يبدو لنا. وبالنسبة للوعي كما هو، أو على الأحرى التفسير السببي للوعي، فيبدو على أنه قابل للتفسير والتوضيح؛ وذلك من خلال النظرية المادية، كما يختص بجميع التفسيرات الخاصة بالوظائف أو المهام المعرفية العديدة التي يمكن تفسيرها بشكل علمي، مثل: القدرة على إعطاء تقارير عن الحالات العقلية، وتركيز الاهتمام، والتحكم في السلوك...إلخ. أما بالنسبة للوعي كما يبدو لنا، أو على الأحرى التفسير الظاهراتي للوعي، فيبدو على أنه مجرد خبرات لها ظواهر، وبالتالي يتحول إلى خبرات غير سببية وغير وظيفية، وربما يصبح خصائص غير مادية.

وقد صاحب تلك التفسيرات ردود أفعال ومشكلات عديدة، وبالنسبة لردود الأفعال نجد- على سبيل المثال- "جون سيرل John Searle"(.....-1932-b) يرى أن الحلول التي قدمها الفلاسفة لمشكلة النفس والجسد لا دليل عليها، وما هي إلا

مناورات فكرية لأشخاص مقتنعين مسبقًا بصحة الثنائية، ويحاولون اكتشاف طريقة لجعل الثنائية متسقة مع الفيزياء(درويش،٢٠٠٩،ص١٥). وأما بالنسبة للمشكلات، فتعد مشكلة "الكواليا" أو الكيفيات المحسوسة(Qualia) من أبرز المشكلات التي ظهرت على الساحة الفلسفية، وتشير الكواليا- من الناحية الفلسفية- إلى الحالات العقلية التي تسهم في تكوين الصورة العقلية لدي الشخص. خصوصًا وأن هناك بعض الحالات العقلية التي يتعرض لها الشخص، ويشعر بها، ولابد أن تعني هذه الحالات شيئًا ما للشخص الذي يشعر بها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا كان الشخص يشعر بألم في صدره فإن هذا الشعور يعني شيئًا معينًا بالنسبة له. وإذا رأى الشخص شيئًا ذا لون أخضر، فإن هذا اللون يعني شيئًا ما لذلك الشخص الذي يراه. وإذا كان لدى الشخص رغبة في شيء معين، فإن تلك الرغبة تعني شيئًا ما بالنسبة له. وقد أدى هذا الأمر إلى جدل كبير بين فلاسفة العقل، حيث اختلفوا فيما بينهم حول التسليم بوجود الكواليا وكونها حقيقة فعلية، وعدم التسليم بوجودها نظرًا لكونها غير موجودة بالفعل من وجهة نظرهم.

لذا جاءت هذه الدراسة؛ من أجل محاولة عمل مقاربة معرفية بين الاتجاهات المختلفة التي اهتمت بتفسير "الطبيعة الأنطولوجية للكواليا"، وذلك من خلال عرض الطبيعة الأنطولوجية للكواليا وحدودها، وبيان موقف فلاسفة العقل من وجودها وكونها حقيقة كيفية، ومن عدم وجودها وكونها خيالًا محضًا. وكذلك من أجل عرض وجهة نظر الباحث المتمثلة في التأكيد على وجودها وكونها حقيقة كيفية تختلف من إنسان إلى آخر

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها من أوائل الدراسات العربية التي تتناول مشكلة "الكواليا" بوصفها إحدى مشكلات فلسفة العقل أو الميتافيزيقا في الوقت الراهن

التي تتناول وجهة نظر بعض أهم فلاسفة العقل المعاصرين في الطبيعة الأنطولوجية للكواليا.

وتنطلق هذه الدراسة من مجموعة من التساؤلات التي تحاول الإجابة عنها، لعل من أبرزها:

- ما الكواليا، وما الجذور التاريخية لمشكلة الكواليا، وما حدودها ؟.
- ماذا عن موقف فلاسفة العقل المعاصرين من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا؟.
- هل يمكن رأب الصدع الذي أحدثته مشكلة الكواليا بين فلاسفة العقل؟، وماذا عن موقف الباحث من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا؟.

وللاجابة عن هذه التساؤلات فسوف يتم تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: مفهوم الكواليا، نشأتها، وجذورها.

المحور الثاني: موقف فلاسفة العقل المعاصرين من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا.

المحور الثالث: الكواليا بين الواقع والخيال: محاولة لرأب الصدع بين الاتجاهات المتعارضة.

وتحقيقًا للهدف الذي ينشده الباحث من خلال هذه الدراسة فقد اعتمد على المنهج التحليلي، والمنهج المقارن متى اقتضت الحاجة ذلك.

المحور الأول: مفهوم الكواليا، جذورها التاريخية، وحدودها.

رأينا قبل الشروع في عرض مفهوم الكواليا أن نشير إلى أمرين في غاية الأهمية، نرى أنهما يرتبطان ببعضهما البعض، وأنهما يسهمان في إيضاح مفهوم الكواليا إيضاحًا تامًا. وبالنسبة للأمر الأول فيتمثل في أن جل فلاسفة العقل قد وقفوا موقفين مختلفين من الكواليا معًا وفي الوقت نفسه: يكمن الموقف الأول في اعتقادهم بأننا ندرك الكواليا مع كل حالة إدراك. ويتجلى الموقف الثاني في اعتقادهم بأننا لا ندركها، ولكننا فقط نعرف أنها موجودة في كل حالة إدراك. غير أن أصحاب الموقف الأخير لم يبينوا لنا بأي معنى تكون الكواليا موجودة ولا ندركها؟ وهل يعرف المدرك وجودها بطريقة استبطانية أم أنه إدراك خارجي؟(John, 2010,p.327).

وأما بالنسبة للأمر الثاني فيكمن في أنه نظرًا لأن فلاسفة العقل قد وقفوا موقفين مختلفين من الكواليا كما أسلفنا، فقد تراءى لعدد لابأس به من فلاسفة العقل، وعلى رأسهم الفيلسوف البريطاني "تيم كرينTim Crane"(.....–b.1962)، أنه لا يوجد إجماع واضح بين فلاسفة العقل حول مفهوم الكواليا. وقريب من هذا الرأي ما نجده عند الفيلسوف الأمريكي "دانيال دينيتDaniel Dennett"(..–b.1942) والذي أشار إلى الملاحظة نفسها التي أشار إليها "كرين"، ولكن في هيئة وجهة نظر معارضة لواقعية وجود الكواليا، حيث نجد أنه يخبرنا بأن فلاسفة العقل قد تحدثوا عن مصطلح الكواليا بما يحمله من معان واعتبارات دون أن يتوصلوا إلى معنى واحد متفق عليه، كما راح يؤكد على أن المفهوم الذي أطلقه بعض فلاسفة العقل على الكواليا هو مفهوم يتصف بالفوضوية والعبثية على حد وصفه(Graham & Horgan,2008,p.90).

يفهم من ذلك أنه عندما شرع البعض من فلاسفة العقل في تحديد مفهوم الكواليا، فلم يكن لديهم الكثير من المعلومات حول مضمون ومعنى الكواليا. وبالتالي، فقد وجدوا صعوبة في تفسيرها. كما نجدهم يرون أن القول بأن الكواليا تعني الطرق التي ننظر بها إلى الأشياء كما تبدو لنا ليس له أي معنى ما لم نتمكن من الوصول إلى الكواليا ذاتها، وندرك تفاصيلها. وعلى الرغم من ذلك، نجدهم يرون أنه طالما أن التوصل إلى فهم حالاتنا العقلية يأتي من خلال الاستبطان(Introspection)، فإنه من المفترض أن تكون الكواليا قابلة- بشكل غير مباشر- للتفكر الذاتي أو ما يسمى بالاستبطان(Kind,2001,p.149). ومع ذلك فقد قدم عدد لا بأس به من فلاسفة العقل تعريفات عديدة للكواليا، فها هو ذا الفيلسوف المعاصر "فرانك كاميرون جاكسون"Frank Jackson(..-b,1943) يعرفها تعريفًا دقيقًا واصفًا إياها بكونها: صفات معينة للإحساسات الجسدية، وكذلك لخبرات الإدراك الحسي، تلك الخبرات التي نعجز عن نقلها إلى الآخرين بأي مقدار من المعلومات الفيزيائية الخالصة، ولعله يقصد بذلك عدم مقدرتنا على الإفصاح عن تلك الصفات باستخدام لغتنا(عثمان،٢٠٠٦،ص١١٨). وقريب من هذا التعريف هو ما نجده عند الفيلسوف المعاصر "جون هيل"John Heil (..-b,1943) والذي يعرف الكواليا على أنها المظاهر الكيفية لحياتنا العقلية، تلك المظاهر التي نركز عليها عندما نتأمل ما يشبه أن يكون عندما نعاني ألمًا أو نشاهد غروب الشمس في المحيط الهادي أو أن يقع لساننا على فلفل حار، أو أن نعاني صداعًا، وبالتالي نكابد نوعًا من الخبرة الواعية التي تتميز بكيفيات بارزة يصعب وصفها(هيل،٢٠١٧،ص١٩٤).

كما يفهم أيضًا أن مصطلح الكواليا هو مصطلح حديث نسبيًا في الأدبيات الفلسفية لمشكلة العقل والجسد، وهي اسم جمع لاتيني(مفردها Quale) يستخدم فلسفيًا للإشارة إلى مجموعة الخواص العقلية للخبرات الحسية(عثمان،٢٠٠٦، ص١١٧)

بالتالي، يمكن تعريفها حسبما هو شائع على أنها وصف للحالات العقلية، أي ما يمكن أن يشعر به الشخص من حالات عقلية عند الإحساس بالألم أو رؤية اللون الأحمر مثلًا أو اشتمام وردة وما شابه ذلك(Manzotti,٢٠٠٨,p.176). من ثم، فإن الكواليا تعبر عما يشعر به الشخص أو يدركه في موقف معين، فعلى سبيل المثال، قد يقال: إن الفرق بين كواليا اللون الأزرق وكواليا اللون الأحمر فرق جوهري ولا يمكن التعبير عنه فقط من الناحية المادية مثل الاختلاف في طول موجات الضوء أو التنشيط المميز للخلايا العصبية في القشرة الدماغية(Smythies,2008,p.191). وغالبًا ما يتم استخدام مصطلح الكواليا بطريقة أكثر تقيدًا حيث يمكن وصفها بأنها تشير إلى خصائص جوهرية لخبرات فائقة الوصف وخبرات غير مادية، شريطة أن تلتصق هذه الخصائص بالأشخاص أنفسهم الذين يمرون بالحالة العقلية الواعية بشكل لا يمكن فصله(Tye,2021).

من ثم، تشير الكواليا إلى خبراتنا الذاتية بالعالم المحيط، وتشمل الخصائص المتضمنة في هذه الخبرات التي لا يمكن أن تحدث في العالم بعيدًا عن عقولنا. وبالتالي، يمكننا القول بأن الشعور الذي لا يوصف عن تجربة اللون الأزرق عندما ينظر الشخص إلى السماء، أو الشعور عندما يتعرض الشخص للوخز بدبوس يعد مثالًا من الأمثلة الواضحة على الخبرات الذاتية؛ إذ إن هذه المشاعر تمثل خبراتنا وتجاربنا الذاتية، ومن ثم، فلا يمكن الإشارة إليها في العالم الخارجي. ونظرًا لأن شعورنا الذاتي يوجد فقط داخل عقولنا، فإنه من الممكن وصف الكواليا بأربعة أوصاف تقليدية، يتمثل

الوصف الأول في كونها حالة عقلية واعية لا يمكن وصفها وصفا دقيقًا، أما الوصف الثاني فيكمن في كونها حالة عقلية واعية كامنة وجوهرية، أي يمكن عزل طبيعتها الكيفية عن كل ما يدور أيضا في الذهن معها، وأنها لا تعتمد في وجودها على أية حالات ذهنية أخرى تكون موجودة، ويتمثل الوصف الثالث في كونها حالة عقلية واعية خاصة، ووصولًا إلى الوصف الرابع والأخير فنجد أنه يتمثل في كونها حالة عقلية واعية قابلة للإدراك المباشر من خلال الوعي(Silby,1998,p.1).

وفي سياق محاولة الكشف عن معنى الكواليا نجد الفيلسوف الأمريكي "نيد بلوكNed Block" (...-b.١٩٤٢) يرى أن جميع الحالات العقلية الواعية هي حالات واعية في معظم الأوقات، وعلى الرغم من ذلك، فعادًة ما نلاحظ أن بعض الحالات العقلية والتي تتسم بالوعي يمكن أن تفتقر إلى الكواليا أو الكيفيات المحسوسة، بمعنى أنه لا توجد حالة عقلية تشبه الحالة التي يمر بها الشخص(Graham & Horgan,2008,p.90)، أو أن هناك بعض الحالات العقلية يمكن أن تعتمد على الفهم فقط ولا تحتاج إلى الشعور، فعلى سبيل المثال، قد نسمع أن هناك شخصًا ما يتحدث بلغته، ونحن نفهم هذه اللغة، أي أننا لا نسمع منه إلا كلمات فقط، ولكننا ندرك ونفهم معناها جيدًا. وأي أننا نسمع كلمات ذات معنى، وجملًا تعطي معاني مختلفة، وذلك لأن المعنى هو خاصية ظاهراتية لما نسمعه من كلمات وأصوات(Graham & Horgan,2008,p.95).

كما نلاحظ أنه من الممكن أن ننظر إلى الكواليا على أنها خاصية عقلية من الخصائص العقلية الجوهرية التي لا تتحدد بفعل الخصائص التمثيلية. ومن ثم، تصير الكواليا خاصية عقلية جوهرية غير تمثيلية. وعلى الرغم من ذلك، فيمكننا أن نعتقد في كونها خاصية عقلية جوهرية تمثيلية، خصوصًا وأن هناك أمثلة كثيرة تجعلنا ننظر إلى

الكواليا على أنها تحمل أهمية ودلالة تمثيلية، ولعل من أبرز هذه الأمثلة، قولنا– على سبيل المثال لا الحصر– بأن الحرف(E) يمثل الشعور باللون الأصفر، وحيث إن هذا الشعور باللون الأصفر هو شعور داخلي، فإنه يمثل الكواليا، وهي التي يرمز لها بالحرف(Y). وبالتالي، فإن هذا المثال الخاص بالكواليا والتي يرمز لها بالحرف(Y) هو الذي يجعلنا ننظر إلى الحرف(E) على أنه يمثل الشعور باللون الأصفر. وأن الكواليا هي التي تجعل الخبرات خبرات ظاهراتية، وبالتالي، فإنها تعمل كوسائل للتمثيل الإدراكي(John,2010,p.326).

هذا يعني أن المحتوى الظاهراتي/ النوعي(Phenomenal Content) للكواليا يكون في الأساس والجوهر محتوى قصديًا ومتأصلًا في فكرنا؛ ذلك لأن السمة أو الخاصية الظاهراتية تمثل نفسها وتُظهر نفسها للشخص الذي يلاحظها، وأن المحتوى الظاهراتي يكون متضمنًا داخل الكواليا، ولعل ما يؤكد ذلك هو المثال التالي، المتمثل في أنه لو أنني افترضت جدلًا بأنني أفكر في مدينة معينة–أي مدينة في العالم– ففي هذه الحالة سوف يتبادر إلى ذهني كل المعلومات المتعلقة بتلك المدنية دون الحاجة إلى قراءة أشياء عنها أو تفسير ما يحدث فيها. وبالتالي، تعتمد معرفتي بهذه المعلومات التي تتبادر إلى ذهني على ما يجول بخاطري وما يتوافر لدى من معلومات حولها(Graham & Horgan,2008,p.92). وعلى الرغم من ذلك، فيمكن أن يكون المحتوى الظاهراتي للكواليا محتوىً غير قصدي وليس متأصلًا في فكرنا حسبما أخبرنا" بلوك". وتأكيدًا لذلك نجد أنه يضرب لنا مثالًا بارزًا ، حيث يرى أن هناك أحاسيس جسدية، مثل تجربة "ذرورة الجماع" تمثل حالات عقلية أصيلة، غير أنها لا تنطوي على أي محتوى قصدي(بلوك،٢٠١١، ص٢٥٥).

من ثم، فلا غرابة عندما نجزم بأن الكواليا هي التي تعطي شعورًا بالوضع في عالمنا الذي نعيش فيه، وهي التي تتضمن كل ما يحيط بهذا العالم، أو بمعنى أكثر دقة هي التي تشمل الوجود الحالي للعالم كما نتصوره(Potrc,2008,p.114).

وعلى الرغم من أن علاقة الكواليا بالعالم المادي تظل علاقة غير واضحة إلى حد ما، إلا أن الكواليا تسهم في إحداث تكامل وتماسك في هذا العالم التجريبي الذي يتألف من خبرات واعية وحالات إدراكية كلية ومحتوى عمدي أو قصدي(Potrc,2008,p.109).

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من كون الكواليا خصائص عقلية جوهرية تحدث في أذهاننا بشكل طبيعي نتيجة الإدراك، وكذا كونها – في الوقت نفسه – خصائص غير مادية مسئولة عن الخاصية الظاهراتية. ناهيك عن أنه تم استخدامها لأول مرة في نظرية المعطيات الحسية التي قدمها" كلارنس لويس Clarence Lewis"(١٩٦٤-١٨٨٣) عام ١٩٢٩م؛ وذلك للإشارة إلى خصائص المعطيات الحسية ذاتها(Tye,2021)، إلا إننا نلاحظ أنها تختلف كثيرًا عن المعطيات الحسية؛ وذلك لأنها بمثابة خصائص للشيء، في حين أن المعطيات الحسية هي الشيء ذاته(Crane,2000,p.17).

بالتالي، تراءى لـ" كرين" أن تعريف الكواليا وربطها بالمعطيات الحسية كما يزعم البعض، سوف يواجه بالعديد من الاعتراضات من جانب العديد من فلاسفة العقل الذين يقبلون الكواليا وليس بإمكانهم شيء يفعلونه بالمعطيات الحسية. والجدير بالذكر، أن " كرين" لم يتوقف عند هذا الحد، حيث راح يؤكد على أن معظم فلاسفة العقل قد أجمعوا على رفضهم للمعطيات الحسية؛ ظنًا منهم في أن فكرة الخبرة ليست وعيًا أو لا تمثل وعيًا بالأشياء غير المادية، لذا قد أصبحت فكرة غير مقبولة في أوقاتنا تلك، كما

أصبحت فكرة بعيدة كل البعد عن فلسفة العقل. وفي مقابل ذلك، وجدنا" كرين" يخبرنا بأن هناك عددًا لا بأس به من فلاسفة العقل يقبلون وجود الكواليا في الوقت الذي يوجد فيه الكثيرون ممن يرفضون المعطيات الحسية؛ وذلك لأنهم يرون أن الكواليا هي موضوع إشكالي، إلا أنه يتعلق بالخصائص التي لا يمكن إنكارها والتي ترتبط بوجودنا الذي يمثل أهمية مادية وطبيعية(Crane,2000,p.p,18.19).

ووصولًا إلى الجذور التاريخية لمفهوم الكواليا، فنجد أنه على الرغم من أن مفهوم الكواليا مفهوم حديث نسبيًا في الأدبيات الفلسفية كما أسلفنا من ذي قبل، إلا أن الجذور التاريخية لهذا المفهوم يمكن أن ترجع إلى القرن السابع عشر الميلادي؛ وذلك لأنه – من خلال الدراسة والفحص– قد تبين أن معظم الكتابات الحالية التي تم تقديمها بشأن الكواليا موجودة في المناقشات التي أوضحها" جاليلو"(١٥٦٤-١٦٤٢) في كتاباته الفلسفية(Manzotti,٢٠٠٨,175)، حيث سبق وأن نوه منذ ما يقرب من أربعمائة عام بأن هناك جدلًا لا يزال قائمًا بشأن الكواليا، مرجعًا ذلك الجدل إلى وجود انقسام بين الجانب الظاهراتي والجانب المادي، أو على الأحرى بين الذاتي والموضوعي(Manzotti,٢٠٠٨,177).

وتأكيدًا لذلك، فإننا لو نظرنا إلى مناقشاته التي قدمها عام ١٦٢٣م لوجدنا أنه يقترح أن العالم الواقعي يتألف من جوانب كمية Quantilative ، وأن كل الجوانب التجريبية الأخرى أو على الأحرى الجوانب الكيفية، مثل: الجودة والشكل تنشأ من قبل البشر.

كما كان" جاليلو" يميل إلى الاعتقاد بأن المذاقات والروائح والألوان وما يتعلق بالشيء الذي تظهر فيه وترتبط به أكثر من مجرد أسماء، وتوجد فقط في الجسم الذي يتمتع بحساسية، لدرجة أنه عند زوال هذا الشيء، فإن تلك الصفات تتلاشى وتصبح لا

وجود لها. وإذا كانت الآذان والألسنة والأنوف غير موجودة، فإنه يرى أن الشكل والكمية والحركة تظل موجودة وباقية، ولكن سوف تكون هناك نهاية لعملية الشم والتذوق والصوت، ولن يصدر عن الكائن الحي أي من هذه الحواس. ومما لا شك فيه أن التفسير– غير المباشر– والذي قدمه "جاليلو" للكوالیا قد أثر تأثيرًا كبيرًا في" دينيت"، حيث راح "دينيت" يؤكد– كما سوف نرى– على ضرورة الهجوم على الكوالیا؛ وذلك من خلال تركيزه على وجهة النظر المادية، وبالتالي تراءى له أن الكيانات الموضوعية هي فقط التي تنتمي إلى العالم المادي، وأن الكيانات الخاصة والذاتية لا تتصف بالمصداقية ولا تهدف إلى تقرير موثوق فيه(Manzotti,٢٠٠٨,p.p.175–177).

فضلًا عن ذلك، نجد أن " جون لوك" (١٦٣٢–١٧٠٤) قد تساءل تساؤلًا مرتبطًا بالكوالیا والوعي منذ عدة قرون مضت هو: هل حقًا تظهر الأشياء بالنسبة للآخرين كما تظهر بالنسبة لي؟؟(أبو لطيف،٢٠١٩،ص٣٠). وقريب من ذلك نجد " جورج باركلي" يشير– على نحو غير مباشر– إلى الكوالیا من خلال محاولة إنكاره لوجود الجسم والدماغ من ناحية، وكذا محاولة إثبات وجود العقول والأفكار فحسب من ناحية أخرى. وتحقيقًا لذلك وجدناه يصر على أن الوجود هو الإدراك، وأن ما يوجد هو ما يُدرك، ونحن لا ندرك إلا احساساتنا الآتية من خلال تجاربنا الحسية ولا ندرك أبدًا الموضوعات المادية المستقلة عنا(أبو لطيف،٢٠١٩،ص٣٣).

كما نلاحظ أن للفلسفة الأمريكية دورًا مهمًا في اختراع مفهوم الكوالیا، حيث كان لـ "بيرس" (١٨٣٩–١٩١٤)السبق في استخدام مصطلح الكوالیا في شكل يشبه معناه الحديث، ولا سيما عندما أخبرنا في عام١٨٦٦م بأن هناك خاصية مميزة لكل حاسة من الحواس، وهناك حاسة مميزة لكل يوم وكل أسبوع، وحاسة مميزة للوعي الشخصي ككل. كما كان يتحدث" بيرس" عن مضمون الخبرة بصفة عامة، غير أنه

كان لا يتحدث عن مضمون الخبرة بالمعنى المقصور على كوالليا الخبرة السائد في أيامنا تلك. كما كان" وليم جيمس"(١٨٤٢-١٩١٠) يستخدم مصطلح الكوالليا من حين لآخر من أجل مناقشة "الحس". وعلى الرغم من ذلك، فقد كان ينظر إليه على أنه مصطلح يشير إلى ما هو أقل من الحس، لذلك لم يمثل مصطلح الكوالليا أية أهمية في فلسفة" وليم جيمس. وما بين الحين والآخر، كان يتم استخدام مصطلح الكوالليا بواسطة من يطلق عليهم "الواقعيون الجدد"، ولعل من أبرزهم- على سبيل المثال لا الحصر- هو"رالف بيري Ralph B. Perry " (١٨٧٦-١٩٥٧)الذي تحدث كثيرا عن الكوالليا الحسية.

وعلى الرغم من ذلك، فإنه يتضح لنا أن" كلارنس لويس" قد يكون في ظننا هو الفيلسوف الوحيد الذي استخدم مصطلح الكوالليا استخداما تقنيًا في الكثير من مناقشاته الفلسفية التي عقدها بين الحين والآخر. كما تم استخدام المصطلح استخدامًا صحيحًا في المذهب المثالي الذي يتشيع له بعض الفلاسفة، أمثال: جوزيه رويس Josiah Royce" (1855-1916) والذي اعتقد أن الخبرة دائما ما تتضمن التفسير، أو وضع تصور معين(Crane,2000,p.p,14.15).

وبالنسبة لحدود الكوالليا، فإننا نلاحظ أن الكوالليا لم تقتصر على الخبرات الشعورية التي يمر بها الشخص في الوقت ذاته، ولكنها تسمح لنا بتذكر الخبرات الشعورية الماضية التي مر بها الشخص من ذي قبل؛ ذلك لأن إدراكنا للآلام- على سبيل المثال لا الحصر- سوف يكون بمثابة تذكير بالإصابات القديمة التي تعرضنا لها من ذي قبل، وكذا مراجعة لخيالنا للنظر في ما سوف يكون الحال عند تناولنا الأيس كريم أو الخضوع لعملية خلع الأسنان. وعلى هذا النحو تسهم الكوالليا في أن يكون لدينا بعض القدرات للتفكير في الخبرات السابقة، كما تجعلنا نتذكر الحالة النوعية

التي نمر بها بدقة كافية لنقرر لأنفسنا ما إذا كانت التجربة التي نمر بها في الوقت الحالي تتشابه مع التجربة الشعورية التي مررنا بها من ذي قبل أم لا؟.

ولعل ما يؤكد على صدق هذا الحديث هو المثال التالي الذي ينص على: أنك إذا تخيلت–في الوقت الحالي– مشهد أزهار معينة، فقد تحكم على ما هو أمامك الآن على أنه لا يشبه رائحة عطر شجرة الليك أو الليلج(Lilacs) التي سبق وأن اشتممتها من ذي قبل. كما أنك إذا تذوقت بعض الشيكولاته، فقد تتذكر كيف تذوقت الشيكولاتة البلجيكية التي تذوقتها في العام الماضي من أجل إجراء مقارنة بين طعم الشيكولاتة التي تذوقتها الآن والشيكولاتة البلجيكية التي تذوقتها في العام الماضي. بالتالي، تسهم الكواليا في أن تجعلنا نستمتع ونتذكر حالات وعي معينة عند إجراء تنبوءات أو تقييم حالة ما، كما تجعلنا نحصل على احساس بما يشبه أو لا يشبه الخضوع لتجربة ما(Odom,2008,p.113).

وعلى الرغم من ذلك، فمن المحتمل أن تواجه الكواليا العديد من المواقف الشعورية الصعبة التي قد تعترضها، لدرجة أننا لا نستطيع معرفة حدودها أو حتى تفسيرها، مثل: الأحلام، الهلاوس، والتخيلات،...إلخ(Manzotti,2008,p.184)، غير أننا نلاحظ أننا لا نستطيع أن نحلم بأي شيء لا تكون مكوناته أو أجزاؤه جزءًا من حياتنا. ولعل ما يؤكد ذلك هو أننا نجد أن الأشخاص الذين يولدون مكفوفي البصر سوف يصبحون غير قادرين على أن يحلموا بالألوان، وقياسًا على ذلك فإننا لا نستطيع أن نكون قادرين على أن نحلم بأي شيء خارج عن نطاق حياتنا، ولا نستطيع أن نحلم بمذاق جديد لم نجربه من ذي قبل أو أن نحلم برائحة لم نجربها من ذي قبل أو صوت لم نعهده من ذي قبل(Manzotti,2008,p.188).

علاوة على ذلك، فقد دار جدل كبير في الفلسفة بشأن الطبيعة الأنطولوجية للكواليا؛ حيث إن الكواليا تمثل محور الارتكاز الذي يساعد في فهم طبيعة الوعي، كما أنها تقع في لب مشكلة النفس والجسد كما ذكرنا من ذي قبل. وتمحور هذا الجدل حول الحالة العقلية التي تنتاب الشخص في كل حالة من الحالات والمشاعر والخبرات التي يمر بها الشخص، وما إذا كانت الكواليا متأصلة في حاملها أم لا؟ وكيف ترتبط الكواليا بالعالم المادي سواء كان ذلك داخل الرأس أو خارجها؟(Tye,2021.). مثل هذه التساؤلات هي ما أدت إلى ضرورة معرفة مضمون وتفاصيل الكواليا، وخصوصًا معرفة ما إذا كان هناك أشياء تسمى الكواليا أم لا؟(Crane,2000,p.22)، وهذا هو ما نتناوله من خلال المحور التالي مباشرة.

المحور الثاني: موقف فلاسفة العقل المعاصرين من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا.

يلاحظ الباحث أنه منذ أن بدأ الحديث عن الكواليا، وهي تتعرض للهجوم الشديد؛ وذلك لأن هناك بعض فلاسفة العقل يرون أنه ليس لديهم أية أسباب تجعلهم يؤمنون بوجود بالكواليا، أو يرون أن الكواليا لم تكن وليدة خبراتهم على أقل تقدير. كما يرون أن مسئولية الشخص الواقعي الذي يؤمن بوجود الكواليا تتمثل في إقناعهم بالأسباب التي تجعلهم يؤمنون بوجود الكواليا. وعلى الرغم من ذلك، يرى الباحث أن هناك عددًا لا بأس به من فلاسفة العقل المعاصرين يؤمنون بوجود الكواليا؛ ظنًا منهم في أن كل خبرة من الخبرات التي يمرون بها سوف تكشف عن وجود الكواليا وتؤكدها بلا أدنى شك(Kind,2008,p.p,285.286).

من ثم، تراءى للباحث أن فلاسفة العقل المعاصرين ينقسمون إلى اتجاهين رئيسين عند شروعهم في تحديد موقفهم من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا، يتمثل الاتجاه

الأول في الاتجاه المؤيد لوجود الكواليا، والذي يؤكد على إمكانية اتصافها بالواقعية، كما ينظر إليها على أنها جزء رئيس من الوعي(Graham & Horgan,2008,p.89). بالتالي، يرى أنصار هذا الاتجاه أنه على الرغم من تعرض فكرة الكواليا للنقد الشديد من جانب العديد من الفلاسفة والعلماء على حد سواء؛ نظرًا لما ينتج عنها من إشكاليات عديدة يصعب الوصول إلى حل بشأنها، إلا أنه من الضروري الاهتمام بدراستها؛ وذلك لكونها تُحدث توازنًا مع الوجود المادي، أو على الأحرى توازنًا بين العالم المادي والعالم العقلي. (Manzotti,2008,p.177).

أما الاتجاه الثاني، فهو ذلك الاتجاه الذي يعترض على وجود الكواليا، ويؤكد على صعوبة اتصافها بالواقعية، كما ينظر إليها على أنها غير موجودة أصلًا، لدرجة أننا لا نكون على وعي بها على الإطلاق(Graham & Horgan,2008,p.89). وغالبًا ما يتم تصنيف هذا الاتجاه المعارض لوجود الكواليا إلى فريقين رئيسين: الفريق الأول، ويمثله الفلاسفة الذين يعتقدون أن المعطيات الأنطولوجية الظاهراتية تدعم وجود الكواليا. وطبقًا لوجهة النظر الخاصة بهم، فإن هناك أسبابًا نظرية قوية تدعم فكرة عدم وجود الكواليا. وبالطبع، فإن هؤلاء المعارضين يقع عليهم واجب تفسير السبب الذي يجعلنا نتجاهل ظاهرة وجودنا. وعليهم أن يقدموا لنا أسبابًا مقنعة تجعلنا لا نؤمن بوجود الكواليا. أما الفريق الثاني، ويمثله مجموعة الفلاسفة الذين ينكرون المعطيات الأنطولوجية الظاهراتية، والذين يرون أن الواقعيين المعنيين بالكواليا يخطئون في فهمها. كما يرون أن خبراتنا لا تكشف عن وجود أية كواليا؛ ذلك لأنهم يرون أن خبراتنا هي في الواقع خبرة شفافة. وعندما نفكر في خبراتنا، فإن اهتمامنا يذهب مباشرة إلى الأشياء التي تعطينا تلك الخبرة. كما ينظر هؤلاء الفلاسفة المعارضون للكواليا إلى الاعتبارات الخاصة بالشفافية على أنها وسائل دعم لوجهة النظر التمثيلية الخاصة

بالوعي، والتي من خلالها يمكن للمحتوى القصدي للخبرة أن يظهر أو يتم التقليل منه(Kind,2008,p.p,285)؛ لذا يتوجب علينا تناول هذين الاتجاهين المتعارضين بشأن الطبيعة الأنطولوجية للكواليا، وهذا ما سوف يتناوله الباحث عبر السطور الآتية.

١-الاتجاه المؤيد لوجود الكواليا.

يمثل هذا الاتجاه عدد لا بأس به من الفلاسفة النظريين المعتدلين، الذين يرون أنه على الرغم من أننا لا ندرك الكواليا، ولا نكون على وعي بها في بعض الأحايين، إلا أنه يمكننا أن نكون على وعي ذاتي بها(John,2010,p.337). وتأكيدًا لذلك نجدهم يرون أنه إذا لم تكن هناك كواليا، وتحديدًا إذا لم تكن هناك كواليا للحالات العقلية، فسوف نعتقد بأنه لن تكون هناك حالات عقلية كاملة الوعي على الإطلاق، ونتيجة لذلك أنه سوف يصبح البشر الأحياء كالأموات، أو بمعنى أدق يصبحون مثل الزومبي الذي يعد كائنًا غير واع تمامًا حتى لو كان يتمتع بالقدرة على الحركة والقيام ببعض المهام الأخرى(Graham & Horgan,2008,p.89).

وقد ترتب على ذلك أمران مهمان، يتمثل الأمر الأول في اعتقاد أنصار هذا الاتجاه في إمكانية غياب الخبرات الظاهراتية الذاتية عند الحديث عن المخ فحسب(Manzotti,2008,p.177)، أو على الأحرى عند الحديث عن الإنسان الآلي؛ ذلك لأن الإنسان الآلي يشبه البشر من الناحية الوظيفية فحسب. ولذلك، كثيرًا ما يجدون أن معظم البشر يعتقدون في عدم تمتع الإنسان الآلي بأية كواليا، أو أية خبرة تذكر، لدرجة أنهم يرون أنه على الرغم من التقدم التكنولوجي الذي يحدث في مجال الحاسب الآلي، والمتمثل في تصميم برامج تسطيع تمييز الألوان بدقة كبيرة، إلا أنهم لا يعتقدون في أن هذه البرامج الخاصة بالحاسب الآلي تشهد ما يطلق عليه" كواليا

اللون"؛ ظنًا منهم في صعوبة تخيل أجهزة الإنسان الآلي التي تتطابق مع البشر أو التي تنطبق عليها الكوالياSilby,1998,p.p,1.2).

أما الأمر الثاني فيكمن في إقرار أنصار هذا الاتجاه بضرورة النظر إلى الخبرات الواعية على أنها خبرات تبرر المعتقدات، فعلى سبيل المثال، نلاحظ أن الحقيقة القائلة بأنني أدرك اللون الأحمر تعد مبررًا لاعتقادي بأنني أتمتع بمعرفة اللون الأحمر وأدركه تمامًا. وهذا هو ما أكده الفيلسوف المعاصر"ريتشارد فيلدمان Richard Feldman " من ذي قبل، حيث يرى أن تبرير معتقد معين يعني أن لدينا خبرة بشيء معين يستلزم ليس فقط أن تكون لدينا خبرة أو تجربة سابقة، ولكن أيضا يستلزم أن تكون لدينا الخصائص اللازمة والرئيسة بذلك الشيء. وقريب من هذا الرأي هو ما نجده عند الفيلسوف المعاصر"ريتشارد فومرتون"Richard Fumerton (.....–b.1949)، حيث نجده يؤكد على ما أكده "فيلدمان" من ذي قبل، ويقترح أنه لا يجب أن تكون لدينا كوالياً فقط، بل يجب علينا أن نؤمن بأن هناك رابطًا يربط بيننا من ناحية وبين تلك الكوالياً من ناحية أخرىShiller,2016,p.p.12.13).

ويعتمد أنصار هذا الاتجاه على مجموعة من الحجج المهمة للتأكيد على وجود الكوالياً، ولعل من أبرز هذه الحجج ما يلي:

(أ)– حجة الاستبطان.

تسهم حجة الاستبطان في أن يكون الشخص على وعي داخلي بخبراته أو تجاربه أو حالاته العقلية عندما يلاحظ تلك الخبرات والتجارب، وذلك بغرض تشكيل أحكام غير استدلالية أو معتقدات بشأنها. هذا لا يعني أن أنصار هذه الحجة يرون أن الشخص يشارك في نشاطين أو عمليتين أو يمر بحالة عقلية ويدركها جيدًا، وإنما يعني أن الشخص يشارك في نشاط معين ويمعن التفكير فيه وما يحيط به من جوانب

مختلفة. ويعني أيضا أنهم ينظرون إلى الاستبطان على أنه طريقة محددة تضع الشخص في حالة من حالات الوعي، وهي حالة من الحالات التي يمر بها الشخص وهو في حالة من حالات الانتباه، ويمكن أن يوجه اهتمامه إلى تلك الحالة، ويشكل – بموجب ذلك– بعض المعتقدات كما يتوصل بموجبها إلى أحكام بشأنها، وهذا يوضح حقيقة على قدر من الأهمية وهي أن الكواليا حقيقة واقعية((Graham & Horgan,2008,p.97).

وعلى الرغم من ذلك نرى أن العلاقة الموجودة بين الاستبطان والكواليا قد يشوبها الكثير من الجدل الذي يتمثل في اختلاف فلاسفة العقل المنادين بوجود الكواليا وواقعيتها عن فلاسفة العقل المعارضين لهم حول الأوصاف التي يذكرها كل منهم فيما يتعلق بالأدلة الاستبطانية، فعلى سبيل المثال، نجد أن المنادين بواقعية الكواليا يرون أن الكيفيات المحسوسة هي كيفيات محسوسة فقط، وهناك آخرون يسهبون كثيرًا في الحديث عن الكواليا. وفي بعض الأحايين نجد أن المعارضين للمنادين بواقعية الكواليا قد يتحدون ضد أولئك الذين ينادون بواقعية الكواليا والذين يدافعون عن مصداقية الاستبطان ولاسيما عند اتخاذ قرارات بشأن الخصائص الحقيقة والواقعية للحالات العقلية الواعية(Graham & Horgan,2008,p.96). هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الكواليا ليست معصومة من الخطأ، كما يمكن الشك فيها، وذلك على سبيل المثال لا الحصر (Kind,2001,p.150).

(ب)– **حجة الطيف المعكوس** (The Inverted Spectrum Argument)

يُطلق على هذه الحجة أيضًا حجة" الجوانب الكيفية المعكوسة للحالات العقلية، وتستخدم للتأكيد على وجود الكواليا من ناحية، ولتفنيد النزعة المادية الوظيفية التي تنكر الكواليا من ناحية أخرى. وتنص هذه الحجة على أنه من الممكن أن نتخيل وجود

شخص ذي خبرات معكوسة، بمعنى أن المواقف التي تجعل الأشخاص العاديين يرون لونًا أحمر تجعل الشخص ذا الخبرات المعكوسة يرى اللون الأحمر هذا لونًا أخضر، وبمعنى أن المواقف التي تجعل الناس العاديين يرون لونًا أسود تجعل الشخص ذا الخبرات المعكوسة يرى اللون الأسود هذا لونًا أبيض.

وعلى الرغم من ذلك، فإن استجاباتهم جميعًا واحدة؛ ذلك لأنهم تدربوا على وصف"الدم" – على سبيل المثال– باللون الأحمر، وكذا وصف أوراق الشجر باللون الأخضر. كما أنه لو طلب منهم تصنيف الأشياء وفقًا لألوانها فسوف تكون استجاباتهم واحدة، حيث سوف يضع كل منهم كل ما يوصف بأنه أحمر اللون معًا، وسوف يميزونه عن كل ما يوصف بأنه أخضر، بل سوف يضعون كل ما هو أخضر معًا.

بالتالي، تتضمن هذه الحجة القول بأن خبرات الأشخاص الذاتية مختلفة تمامًا فيما بينهم، إلا الشخص ذا الخبرات المعكوسة التي سوف تجمعه بالأشخاص العاديين هوية وظيفية فقط وليس هوية في الخبرات أو الوعي الظاهر، وهذا هو ما يعني عدم إمكانية تفسير الوعي تفسيرًا ماديًا ووظيفيًا (درويش،٢٠٠٩، ص ص٣٨،٣٩) كما يزعم أنصار الاتجاه المعارض لوجود الكواليا.

(ج)– حجة الهوة/ الفجوة التفسيرية The (Explanatory Gap Argument)

تتضمن هذه الحجة وجود هوة أو فجوة لا يمكن تخطيها ولا يمكن تفسيرها بين الوقائع عن العالم الفيزيائي والوقائع عن الخبرة التي نشعر بها؛ حيث لا يمكننا تفسير الخبرات التي نشعر بها تفسيرًا فيزيقيًا. وبالتالي، توجد لدينا خبرات لا يمكن التعبير عنها تعبيرًا فيزيقيًا، كما تتسبب في عدم مقدرتنا على تقديم تفسير فيزيقي للعقل(درويش،٢٠٠٩،ص ١٧). وقد دافع عن هذه الحجة عدد لا بأس به من الفلاسفة، أمثال: "جوزيف ليفينJoseph Levine"(....–b,1952)، و"ديفيد شالمرز

David Chalmers" (b.1966-....)الذي وافق على ما انتهى إليه "ليفين" في القول بعدم إمكانية غلق الهوة أو التفسيرية؛ إذ يرى "شالمرز" أنه على الرغم من أن ظاهرة الوعي ظاهرة طبيعية ويمكن تفسيرها تفسيرًا يتسق ونظريات العلم، إلا أنه لا يمكن تفسيرها تفسيرًا فيزيقيًا.

وفي مقابل ذلك نجد "مايكل تايMichael Tye"(b.1950-.....) الذي يحاول تقديم حل للهوة التفسيرية، وذلك من خلال برهنته على أن الهوة أو الفجوة التفسيرية لا وجود لها في الحقيقة وأنها وهم إدراكي من السهل أن نقع فيه، وهي وهم مصدره الاعتقاد بأن تصورات الوعي الظاهري لها ملامح خاصة تستعصي على التفسير الفيزيقي، وكذا هي وهم يجعلنا نعتقد أن التفسير الفيزيقي للعالم تفسير ناقص (درويش،٢٠٠٩،ص ١٩).

هذا يعني أن "تاي" يريد أن يقول أن الهوة أو الفجوة التفسيرية هي التي تجعلنا نقرر أنه مهما بلغ تفكيرنا في شيء ما، ومهما تعمقنا في التفكير في تركيب الخلايا العصبية والتفاعلات الكيميائية التي تحدث عندما تنطلق تلك الخلايا، فإننا لن نتمكن من فهم الأمر برمته بل سوف يظل هناك شيء لا يمكن تفسيره أو فهمه؛ حيث يتولد لدينا شعور ذاتي بشيء لا يمكننا تفسيره أو فهمه.

وبالتالي، لا غرابة عندما يتراءى لبعض البشر صعوبة رأب الهوة أو الفجوة التفسيرية، وتظل تلك الهوة أو الفجوة موجودة؛ ذلك لأن الخبرات والمشاعر ذاتية ولا يمكن اختزالها من ناحية، كما تعد خصائص غير مادية من ناحية أخرى. وهناك آخرون ممن يتخذون نفس الموقف من الهوة أو الفجوة مع الإصرار على أن هذا لا يجعلنا نحيد عن النظرة الطبيعية الخالصة بشأن الخبرات والمشاعر. وهنا يتضح أن هناك بعض الخصائص الطبيعية أو الحالات التي تكون بمثابة كيانات ذاتية. وهناك

آخرون يؤكدون على إمكانية رأب صدع الهوة أو الفجوة التفسيرية في يوم من الأيام، بيد أننا في هذه الأيام نفتقر إلى المفاهيم التي تخلق التقارب بين المفاهيم الذاتية والموضوعية.

وطبقًا لهذه النظرة، يتضح لـ"تاي" أن الكواليا مادية غير أنه لا يتوافر لدينا الآن تصور واضح لما عساه أن يكون، وما يزال هناك البعض ممن يعتقدون أن الفجوة التفسيرية يمكن رأبها، ولكن بواسطتنا نحن ولا بواسطة أية مخلوقات مثلنا، حيث إن الخبرات والمشاعر هي جزء من العالم الطبيعي والمادي، مثل: الحياة أو الهضم أو البرق أو الـ (D N A). فمن خلال ما يتوافر لدينا من مفاهيم أو المفاهيم التي نكون قادرين على تكوينها، نستطيع تفسير تلك الظاهرات بما يتوافر لدينا داخل عقولنا(Tye,2021).

(د)- الحجة المعرفية

تنسب هذه الحجة إلى الفيلسوف الأسترالي المعاصر "جاكسون" الذي سارع في تقديم حجة معرفية وعدها تجربة فكرية قوية جدًا، حاول من خلالها التأكيد على استحالة القول بمادية العقل؛ إذ يرى أن الافتراض الذي ينص على مادية العقل يعد افتراضًا زائفًا(Silby,1998,p.1). وقد ظهرت الحجة المعرفية لـ" جاكسون" في عام ١٩٨٠م، وتقترح أن الكواليا وحالات الوعي هي مزايا خاصة لا يمكن تفسيرها بواسطة العلوم الفيزيائية. كما تقترح أن الكواليا هي أمر غير طارئ على البناء الفيزيائي للمخ. ومن ثم، فلا يمكن تفسيرها بالمعنى الفيزيائي(Silby,1998,p.4).

وإحقاقًا للحق فإن حجة "جاكسون" لا تشرح ولا تطرح مشكلة الكواليا بطريقة معادية للمادية، ولكنها تتساءل عما إذا كان من الممكن للمادية أن تعلل لمعرفتنا بالكواليا أم لا؟. وبالطبع، توصل "جاكسون" – كما سوف نرى- إلى أن المادية لا

يمكن أن تقوم بهذا الدور؛ ظنًا منه في احتواء الكواليا على حقائق غير مادية(Crane,2000,p.23).

وقد أسس "جاكسون" حجته على "ماري"(Marry) عالمة الأعصاب التي تربت في حجرة لم يكن فيها سوى اللونين الأبيض والأسود فقط، ولم يكن لديها خبرات بالألوان، ولا يسمح لها مطلقًا بمغادرة حجرتها، حيث تكتسب معلوماتها عن العالم الخارجي فقط من الكتب التي تتحدث عن اللونين الأبيض والأسود فقط. وهذا هو ما يتيحه لها من قاموا بحبسها داخل حجرتها. ومن خلال أجهزة التلفاز الأبيض والأسود المتصلة بكاميرات خارجية وكذا من خلال شاشات المراقبة(الأبيض والأسود) المتصلة بالحاسبات الآلية باللونين الأبيض والأسود تحصل "ماري" على خبراتها. ومع مرور الوقت تكتسب "ماري" المزيد من المعلومات عن الجوانب المادية للون ورؤية الألوان، لدرجة أن " ماري" تصبح نقطة البداية التي جذبت أنظار العالم لتلك الأمور، وبالفعل تدرك جميع الحقائق المادية المرتبطة بالألوان ورؤية اللون(Tye,2021).

هذا يعني أنه من خلال مشاهدة "ماري" للمحاضرات في التلفاز الأبيض والأسود، قد استطاعت أن تتعلم كل المعلومات المادية الخاصة برؤية الألوان، لدرجة أنها قد تعلمت كل شيء في علم الفيزياء والكيمياء والفسيولوجيا العصبية، وكل ما يمكن معرفته عن الألوان، وكذلك الأدوار الوظيفية لكل منها، لدرجة أنها عندما تترك حجرتها بعد ذلك، وترى – على سبيل المثال– وردة حمراء لأول مرة، فيمكنها أن تتعلم– من الناحية الحدسية– بعض الحقائق، كما يمكنها معرفة معنى اللون الأحمر بعد ذلك(Alter,2008,p.248).

كما يعني أن "جاكسون" يريد أن يخبرنا بأن الحجة المعرفية التي يدافع عنها هي حجة حدسية في المقام الأول، وأنه عند مغادرة " ماري" لحجرتها يمكنها أن تتعلم

شيئًا جديدًا عن طبيعة هذا العالم، شريطة أن نضع في اعتبارنا أن هذه المعرفة التي توصلت إليها " ماري" لا يمكن التنبؤ بها من خلال معرفتها الفيزيائية الكاملة للمخ(Silby,1998,p.5).

وعلى الرغم من قوة الحجة التي قدمها "جاكسون"، إلا أنها قد تعرضت لبعض الانتقادات من قبل معارضيها، تمثلت هذه الانتقادات في إنكارهم القول بأن "ماري" قد تعلمت حقيقة مهمة، ولاسيما عندما غامرت وتركت حجرتها وخرجت بعيدًا عن الحدود التي تحيط بها؛ ظنًا منهم في أن ما اكتسبته "ماري" ما هو إلا مجرد طريقة جديدة للإشارة إلى بعض الخصائص المحددة علميًا، والتي يمكن الحصول عليها من خلال رؤيتها للأشياء الخارجية وبعض الخصائص والسمات الأخرى التي يسهل وصفها سواء بنفسها أو من خلال الحالات الداخلية التي تحدث في جهازها البصري(Graham & Horgan,2008,p.p,92.93).

ويعد" ديفيد لويس" David Kellogg Lewis (١٩٤١-٢٠٠١)من أبرز معارضي هذه الحجة؛ إذ يرى أن "ماري" لم تكتسب أية معرفة افتراضية جديدة بعد إطلاق سراحها، ولكنها اكتسبت فقط القليل من القدرة على التخيل وتذكر التعرف على الألوان أو تجربة الألوان، أو على الأحرى حتى لو حاول البعض إخبارها بلون آخر وتفاصيله، فلن تكون قادرة على التعرف على أي لون آخر غير اللونين سالفي الذكر، أقصد: الأبيض والأسود(Oyelakin,2009,p.p,20.21).

ناهيك عن ذلك، فإننا نجد أن" بول تشير شيلاندPaul Churchland "(b-1942-.....) يرى الحجة المعرفية التي قدمها "جاكسون" لا تصلح على الإطلاق، بل وينبغي علينا التصدي لها(Silby,1998,p.6). كما نجد "تاي" يؤكد على أن "ماري" قد اكتشفت بعض الأمور المهمة، حيث اكتشفت أشياء لم تعرفها من ذي قبل

معتمدًا في ذلك على تفسير محتمل فحواه هو أن هناك مجموعة من الخصائص الذاتية والظاهراتية المرتبطة باللون، وهي خصائص ذات طبيعة جوهرية اكتشفتها "ماري" عند إطلاق سراحها وعند تعرفها على الخبرات العديدة الجديدة للألوان، فقبل أن تترك" ماري" حجرتها عرفت فقط الأسس الموضوعية والمادية لتلك الخصائص والسمات الذاتية وأسبابها وتأثيراتها وعلاقات التشابه والاختلاف بينها، ولكنها لم تكن لديها معرفة تامة بالخصائص الذاتية ذاتها. وهذا يدل على أن "تاي" قد اقترح اقتراحًا مهمًا فحواه أن "ماري" في حجرتها تفتقد المفاهيم الظاهراتية أو تفتقد بعض الطرق المحددة للتفكير في خبرات الألوان والألوان. وما أن تغادر حجرتها حتى تكتسب أساليب جديدة من التفكير مع رؤيتها للعديد من الألوان، غير أن السمات والخصائص التي ترتبط بالمفاهيم الجديدة تختلف عن تلك التي كانت موجودة في حجرتها من ذي قبل؛ ذلك لأنها خصائص مادية أو خصائص وظيفية فحسب(Tye,2021).

وعلى أية حال، فإن الكواليا التي يقصدها بعض فلاسفة العقل المعاصرين ويؤكدون عليها هنا قد تكون كواليا ظاهرة وواضحة للعيان، وقد تكون كواليا خفية، وبالنسبة للكواليا الظاهرة والواضحة للعيان فإنها تتمثل في الكواليا التي تتوافر لدينا وتمثل ما يبدو لنا فحسب، والتي تعد جزءًا رئيسًا من الواقع الذي نتألف معه(Shiller,2016,p.12)، والتي يمكن أن تتجلى بوضوح في العالم المادي؛ ذلك لأنه إذا سألني أحد مثلًا وقال: أين اللون الأحمر الذي أراه؟، فإنني لن أشير إلى مخي، ولكنني سوف أشير إلى أي شيء خارجي يرمز للون الأحمر. وينطبق نفس الشيء على الأصوات والروائح، وحتى الخبرات الظاهراتية الأكثر تعقيدًا، مثل تلك الخبرات الخاصة بالوجه والكلمة والموسيقى....إلخ. وبالتالي، فإن هذه الخبرات لا توجد مستقلة في العالم ولا تنشأ داخل المخ. (Manzotti,2008,p.p,178,179).

وتتجلى الكواليا في مجموعة من الحالات العقلية، لعل من أبرزها:(أ)، الخبرات الإدراكية، مثل: الخبرات التي تتولد عن رؤية اللون الأخضر مثلًا أو سماع الأصوات العالية أو تذوق شيء ما أو اشتمام هواء البحر أو لمس الفراء مثلًا. (ب)، الحس الجسدي، مثل: الشعور بوخزة الألم، الشعور بحكة جلدية، الشعور بالجوع، الشعور بالألم في المعدة، الشعور بالسخونة، الشعور بالدوران، والشعور بهزة الجماع. (ج)، ردود الأفعال الشعورية أو العواطف، مثل: الشعور بالسعادة، الشعور بالشهوة، الشعور بالخوف، الشعور بالحزن، الشعور بالغيرة، والشعور بالندم. (د)، الطباع الشعورية، مثل: الشعور بالتعالي أو الشعور بالاكتئاب أو الشعور بالهدوء أو الشعور بالتعصب أو الشعور باليأس. كما توجد حالات عقلية أخرى تشير إلى الكواليا، منها: الخبرة المتمثلة في فهم جملة ما أو الخبرة التي تتولد من فهم شيء ما أو تذكر شيء ما بشكل مفاجئ وما إلى ذلك(Tye,2021).

علاوة على ذلك، فإن هناك أمثلة واقعية تدل على وجود أنواع مختلفة من الكواليا الظاهرة والواضحة للعيان، يتمثل المثال الأول منها في التأمل في حالة الرجل الذي يمارس تمارين رفع الأثقال بصالة "الجمباز"، حيث يكون جالسًا، ويرفع أثقالًا ثقيلة نسبيًا(ولتكن ٩٠ رطلًا لكل وزن)، كما يضغط الرجل على "الدمبل" الذي يمسكه بيديه والذي يعلو رأسه حتى يمد ذراعيه بالكامل، غير أن واحدة من الدمبل تنزلق من بين يديه وتسقط على الأرض مباشرة على قدمه فيصرخ من شدة الألم ويمسك قدمه التي سقط عليها "الدمبل". أما المثال الثاني، فيتمثل في التأمل في حالة السيدة التي تسافر وتمشي عبر رقعة من نبات اللبلاب السام، وفي اليوم الثاني من سفرها تشعر بأن ساقيها متهيجة جدًا من اللبلاب السام الذي يسهم بشكل مباشر في تهيج الجلد، فترغب في هرش جلدها وتستسلم لرغبتها حيث تخدش ساقيها بأظرفاها تلقائيًا.

وتعقيبًا على المثالين سالفي الذكر نلاحظ أن الرجل الذي يرفع الأثقال يكون في حالة ذهنية/ حالة نفسية معينة في الوقت الذي كان يمسك بقدمه ويصرخ. وأن السيدة المسافرة كانت أيضًا في حالة ذهنية معينة، وذلك قبل أن تستسلم لرغبتها في خدش نفسها. بيد أن هناك فروقًا مهمة يمكن ملاحظتها من خلال هذين المثالين، وتتمثل تلك الفروق في أن كلًا من الرجل الذي كان يرفع الأثقال والسيدة المسافرة يتشابهان في أنهما يمتلكان كواليا؛ نظرًا لكونهما يتمتعان بمشاعر ظاهرية/ ذاتية. وعلى الرغم من ذلك فهما يتمتعان بحالتين ذهنيتين مختلفتين(Gardner,2002,p.p,9.10).

وأما بالنسبة للكواليا الخفية(Hidden Qualia) جزئيًا، فهي تلك الكواليا التي نستطيع أن نقول: إننا نمتلكها، ولكن بشيء من الصعوبة. وهي التي تحول انتباهنا بعيدًا عن خبراتنا، وإذا كان الانتباه ضروريًا لخبراتنا في التأثير على معتقداتنا، فإن الكواليا التي ذهبت بعيدًا عن مجال انتباهنا سوف تكون كواليا خفية جزئيًا، فعلى سبيل المثال، فإن صوت مكيف الهواء الموجود خلفنا في قاعة المحاضرات قد لا يكون له تأثير على معتقداتنا بشأن خبراتنا عندما نحاول أن نلفت الانتباه إلى محاضرة ما. وهذه الكواليا سوف تكون خفية بشكل جزئي غير أنها سوف تصبح قابلة للاستبطان إذا فكرنا فيها. وبالتالي، فعلى الرغم من تعرض موضوع الكواليا الخفية للجدل، إلا أنه من المعقول حدسيًا أن تكون لدينا بعض الكواليا التي قد لا ندركها أو نلاحظها(Shiller,2016,p.4).

وعلى أية حال، فإن من أبرز المدافعين عن واقعية الكواليا هو الفيلسوف النمساوي- الأمريكي" هربرت فيجل Herbert Feigl(١٩٠٢-١٩٨٨) الذي اعتقد في إمكانية التسليم بوجود الكواليا، بل ونظر إليها على أنها الشيء الذي يمثل عنصرًا

رئيسًا في الخبرة المباشرة التي تتبادر إلى الذهن مباشرة(Crane,2000,p.20). كما نجد" فرد درتسكا Fred Dretske "(٢٠١٣-١٩٣٢) ينظر إلى الخبرات والأحاسيس على أنها تمثيلات حسية، في حين أنه ينظر إلى الأفكار والأحكام والمعتقدات على أنها تمثيلات مفاهيمية، لذلك نجده عندما يشرع في وصف الكواليا على أنها الخصائص التي تمثلها الأشياء الموضوعية الموجودة في التمثيلات الحسية، يدعي ارتباط الكواليا بالتجارب والخبرات الحسية الواعية والأحاسيس الجسدية وليس بالأفكار الحادثة الواعية. والجدير بالذكر أن مفهوم "درتسكا" للكواليا قد تعرض للنقد الشديد؛ ذلك لأنه يحصر الظواهر بشكل ضيق للغاية، كما يهمل التمثيلات المفاهيمية للكواليا(Gardner,2002,p.p,13.14).

علاوة على ذلك، نجد " سيرل" يؤكد على أن حالاتنا الداخلية لها خواص معينة ومحتويات من نوع خاص، حيث يرى أنه إذا كنت تفكر- على سبيل المثال- في مدينة " كانساس Kansas" الأمريكية أو ترغب في تناول بيرة مثلجة أو كنت تفكر في أنه سوف يكون هناك انخفاض في معدلات الفائدة، فإنك في هذه الحالة تعرف جيدًا أن حالتك العقلية تمر بمرحلة ما أو أن هناك محتوىً عقليًا. وهذا يعني أنه حتى إذا كانت أفكارك تتراءى لك في شكل رموز، فسوف يكون لها علاقة قوية بالأفكار وليس بالأشياء المجردة؛ ذلك لأن هذه الأشياء في حد ذاتها ليس لها أي معنى. أما إذا كانت أفكارك تتعلق بشيء ما، فسوف تكون هذه الأشياء لها معنى، وبالطبع فإن هذا المعنى هو الذي يصوغ الأفكار بشأن هذه الأشياء(Searle,2002,p.p,670.671)

ووصولًا لـ" توماس ناجلThomas Nagel "(...-b.1937) فإننا نجده ينظر إلى الكواليا على أنها خبرة ذاتية، وتأكيدًا لوجهة نظره سالفة الذكر وجدناه يسرع في نشر مقال مهم في سبعينيات القرن الماضي تحت عنوان" كيف سيكون شعورك لو

كنت خفاشًا" اهتم فيه باستحالة مقدرة الإنسان على تقصي الحياة الداخلية للوعي الخفاشي؛ إذ لا يمكن تصور إحساس الخفاش–مثلًا– بكيفية رؤية الأشياء عن طريق أذنيه حتى لو عرفت جميع العمليات المادية التي تجرى في دماغه(أبو لطيف،٢٠١٩،ص٣١). كما نجد "بلوك" يؤكد على أننا ندرك الكواليا، حتى أن الأطفال يدركونها ويكونون على وعي بها؛ ذلك لأنه يرى أن تمييز الكواليا عن الموضوعات التي يتم إدراكها والانتباه إليها لا يعتمد على معرفة كيفية تطبيقها أو تطبيق مفاهيمها. هذا يعني أن " بلوك" يرى أن الكواليا ذاتها موجودة، وتعد عناصر إدراكية واعية، وربما يكون الأطفال الصغار مفتقدين لتلك المفاهيم، ولكن الكواليا ذاتها هي عناصر شعورية واعية في الحيز الإدراكي. فالأطفال يبدأون بالوعي الظاهراتي للكواليا، وتصبح لديهم القدرة على إدراكها ذاتيًا، كما تصبح لديهم القدرة على تمييزها عن الخصاص المادية التي تلعب دورًا مهمًا في التمثيل(John,2010,p.329).

كما يعني أن "بلوك" ينظر إلى الكواليا على أنها خصائص وسمات عقلية لخبراتنا، ويمكن للشخص أن يفكر تفكيرًا ذاتيًا في تلك الخصائص والسمات العقلية(Kind,2001,p.154). ويعتقد" بلوك" أيضا في أن الأحاسيس دائمًا وفي كل الأحوال يكون لها محتوى تمثيلي بالإضافة إلى طبيعتها الظاهراتية. والأكثر من ذلك، يعتقد في أن الطبيعة الظاهراتية نفسها هي التي يكون لها محتوى تمثيلي. ويصر على أن ما ينكره هنا هو القول بأن المحتوى التمثيلي هو ذاته المحتوى الظاهراتي؛ حيث يؤكد على أن الطبيعة الظاهراتية تفوق المحتوى التمثيلي وتتخطى حدوده(John,2010,p.325).

وبالتالي، فإن اهتمام "بلوك" بالكواليا ودفاعه عنها جعله يعترض على النزعة الوظيفية التي تتسبب في نشأة الكواليا الغائبة والتي تتمثل في وجود أشياء معينة سوف

يكون لها خصائص عقلية، بيد أنها تفتقر إلى تلك الخصائص العقلية من ناحية(Speaks,2006,p.1)، كما تفشل النزعة الوظيفية في توصيف الخبرات وصفًا مناسبًا؛ ذلك لأنها تهمل تمامًا أكثر سماتها بروزًا وهي الطابع الكيفي، كما تهتم بتقديم وصفًا علائقي بحت للحالات العقلية ولا تخبرنا بأي شيء عن خصائصها الجوهرية من ناحية أخرى(لـــو،٢٠٢٠، ص.ص ٧٢،٧٣).

وعلى أية حال، فقد ضرب لنا " بلوك" أمثلة عديدة تتجلى فيها الكواليا الغائبة، لعل من أبرزها: الروبوت ذا الرأس البشري، والأمة الصينية(Speaks,2006,p.1) التي أراد من خلالها أن يوضح لنا أنه من الممكن أن يُطلب من كل شخص من الأمة الصينية أن يحاكي خلية عصبية ويسمح لكل شخص من الأمة الصينية أن يحاكي الارتباطات العصبية، وذلك عن طريق إمداد كل شخص من الأمة الصينية بوصلة جهاز هاتف خلوي. ومن ثم، فإذا تم هذا بفعالية تامة، فإن الأمة الصينية سوف تصل إلى تقليد ومحاكاة كاملة للمخ البشري من الناحية الوظيفية، ولكن هذا الجهاز كما يخبرنا" بلوك" لن يكون أوعى من الإنسان بأية حال من الأحوال(Silby,1998,p.4).

أيضا نجد "أوين فلانغنOwen Flanagan "(b,1949-.....) ينظر إلى الكواليا على أنها حدث عقلي أو حالة لها خاصية وجود شيء ما بها، لذلك تعد الكواليا بالنسبة له حالة ذهنية واعية لها ملامح ظاهرية ذاتية، بمعنى أنها ليست السمات الظاهرية الذاتية في حد ذاتها(Gardner,2002,p.12.).

وأخيرًا نجد "شالمرز" الذي ينظر إلى فرضية العقل- الجسد على أنها فرضية متسقة منطقيًا ولا يمكن منعها على وجه الحصر(شالمرس،٢٠١١،ص٧٢)، حيث يرى أن الاحتمالية المنطقية للزومبي تبدو مناسبة وواضحة له تمامًا؛ ظنًا منه في أن

"الزومبي" هو كائن يتطابق بدنيًا معه، ويشبهه تمامًا، غير أنه لا يتمتع بأية خبرات واعية مثله.

هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن "شالمرز" يريد أن يؤكد لنا على أن "الزومبي" هو مخلوق يتشابه معه تمامًا، غير أنه سوف يكون متطابقًا معه فحسب من الناحية الوظيفية، كما سوف يقوم بمعالجة نفس نوع المعلومات التي يعالجها، ويتفاعل مع ردود أفعاله بطريقة تشبه المدخلات وما تحمله من توصيف داخلي وما ينتج عنه من سلوكيات لا يمكن تمييزها. غير أنه يرى أن هذا النهج الوظيفي الذي يقوم به الزومبي لن تصاحبه أية خبرات واعية حقيقية مثلما يحدث مع شالمرز بوصفه إنسانًا(Speaks,2006,p.2).

كما يدل أيضا على أن "شالمرز" يعتقد في وجود ما يسمى بالطبيعة الذاتية للخبرة(الكواليا)، وكذا في اتصاف الوعي بصفة الذاتية؛ حيث يرى أن الخبرات الذاتية ما هي إلا حالة عقلية، وأن كلمة" أنا" تدل على شيء مميز عن الجسد وتفوقه بكثير. كما تدل على أنني" أنا" الذي أشعر، وأنا الذي أقترح وأنا الذي أفترض. وتدل على ذاتية الوعي. وبناء على ذلك، يمكن وصف الوعي من منطلق الشعور النوعي للخبرة أو كما يطلق عليها "شالمرز" مصطلح الكواليا(Nath,2009,p.447).

٢-الاتجاة المعارض لوجود الكواليا.

يختلف هذا الاتجاه اختلافًا كبيرًا عن الاتجاه الذي يؤيد وجود الكواليا، حيث ينكر أنصاره، ولاسيما المتشيعون لفكرة المادية الإقصائية(Eliminative Matenalism)، أن لدينا أية خبرات أو تجارب ذاتية على الإطلاق، ويزعمون أن الحديث عن الأحاسيس والخبرات والكواليا وما أشبه ذلك هي أمثلة على استخدام

مفردات بالية، ويوصون بضرورة قيامنا بتقديم مفردات تصف فقط حالات المخ ذاته (Smythies,2008,p.191).

بالتالي، يتمثل الهدف الرئيس لأنصار هذا الاتجاه في إقناع البشر بأنه لا توجد مثل هذه الخصائص التي تسمى بـ"الكواليا"؛ ذلك لأنهم يسعون إلى إقناع البشر بعدم الثقة في المفهوم الحدسي أو ما قبل النظري للكواليا(Johnsen,1997,p.53). وتأكيدًا على صدق هذا الحديث نجد أن بعضًا من الفلاسفة المتشيعين لهذا الاتجاه يرون أننا عندما نفكر تفكيرًا ظاهراتيًا، وننظر بأعيننا إلى الليمونة – مثلًا– فإن كل ما نلاحظه هو اللون الأصفر الذي يمكن ملاحظته على الليمونة، في حين أننا لا نلاحظ أي كواليا يمكن أن تعمل كوسيلة لتمثيل الليمونة وللونها الأصفر، ذلك الأمر الذي يجعلنا على عدم وعي ذاتي بالكواليا من ناحية، كما يؤدي إلى وعي إدراكي بل ويخلق نوعًا من الحيرة والارتباك بين الوعي الإدراكي والوعي الذاتي من ناحية أخرى(John,2010,p.337).

علاوة على ذلك، فإن أنصار هذا الاتجاه يزعمون بأن هناك حالات واقعية عديدة لا تدل على الكواليا، حيث راحوا يسردون لنا بعض الحالات التي تؤكد على عدم وجود الكواليا، تتمثل الحالة الأولى في قصة السيد "سانبورن"(Mr. Sanborn) متذوق القهوة، وهو متذوق محترف للقهوة، وكانت وظيفته الرئيسة على مدار السنوات الماضية تتمثل في التأكد من أن مذاق قهوة "ماكسويل هاوس" لا يتغير بمرور الوقت. وهو يعترف بأنه بينما كان يستمتع بالقهوة التي كان يتم صنعها في "ماكسويل هاوس" من ذي قبل، إلا أنه لم يعد طعمها كما كان بالنسبة له من ذي قبل. ومع ذلك، فقد قدموا ثلاثة تفسيرات محتملة لذلك التغير الذي حدث في المذاق، جاءت مرتبة على النحو التالي: يتمثل التفسير الأول في أنها إما أن تكون قد تغيرت الكواليا، أو على الأحرى

قد تغيرت المواقف التفاعلية تجاه الكواليا، ومع ذلك ظلت معاييرها كما هي. ويكمن التفسير الثاني في أن "سانبورن" قد أخطأ في تذكر الكواليا؛ ذلك لأن معاييرها قد تغيرت بالنسبة له، ومع ذلك ظلت جودتها كما هي. ويتجلى التفسير الثالث في ربما يكون كلاهما قد تغير، ويقصدون بذلك الكواليا ومعاييرها معًا. بيد أنهم ذهبوا إلى القول بأنه نظرًا لأن السيد "سانبورن" قادر– بشكل استبطاني ذاتي– على استبعاد الاحتمالين الثاني والثالث، فإنه لا يستطيع أن يعرف عن طريق الاستكشاف أن كواليته قد تغيرت. وبالتالي، توصل أنصار هذا الاتجاه من خلال هذه القصة إلى أن "سانبورن" ليس لديه علاقة مباشرة بالكواليا على الإطلاق(Gardner,2002,p.32).

وتتجلى الحالة الثانية في القصة التي حدثت مع السيد "تشيس"(Mr. Chase) بعد أن أجريت له عملية جراحية، حيث تغير عنده مذاق السكر وأصبح مالحًا، وأصبح طعم الملح حلوًا بالنسبة له. ومع مرور الوقت، وبعد إجراء العملية الجراحية يقوم بعمل تعويض تدريجي(وذلك من خلال التعديلات التي أجريت في عمليات الوصول إلى الذاكرة). وحتى النهاية لا نتمكن من تمييز أدائه في جميع الاختبارات السلوكية واللفظية عن آرائه قبل الجراحة.

ويعتقد السيد "تشيس" بطبيعة الحال أن قدرته وكفاءته التذوقية قد أصبحت الآن كما كانت قبل الجراحة، ومع ذلك فإن هناك احتمالين لذلك، يتمثل الاحتمال الأول في أنه يمكن أن يتم عمل مقارنات للذاكرة قبل مرحلة إنتاج الكواليا بحيث يكون للتعديلات التنقيحية في عمليات الوصول إلى الذاكرة الخاصة بالسيد "تشيس" تأثير على إنتاج نفس الكواليا التي كان من الممكن إنتاجها قبل إجراء العملية الجراحية. أما الاحتمال الثاني فيتمثل في أنه من الممكن أن تحدث عمليات مقارنة للذاكرة في العملية الإدراكية بعد مرحلة إنتاج الكواليا بحيث يكون للتعديلات التي يتم إجراؤها أثناء عمليات

الوصول إلى الذاكرة تأثير ينتج عن نفس السلوك كما كان قبل الجراحة، على الرغم من أن الكواليا لا تزال معكوسة بالفعل.

غير أن أنصار هذا الاتجاه قد توصلوا إلى نتيجة مهمة تتمثل في أنه نظرًا لأن هذين الاحتمالين لا يمكن تمييزهما عن الاستبطان الذاتي، فإنه لا يمكن للسيد "تشيس" أن يعرف من خلال التأمل أن كفاءته هي نفسها ما كانت عليه من ذي قبل. لذا ذهبوا إلى القول بأن الكواليا الخاصة بالسيد "تشيس" لم تكن مفهومة بالنسبة له في الوقت الحالي. كما استنتجوا أنه إما أن تكون هذه الكواليا المفترضة قابلة جوهريًا للفهم أو غير جوهرية. غير أنهم توصلوا إلى أن هذه الكواليا المفترضة ليست كواليا على الإطلاق في نهاية المطاف(Gardner,2002,p.p,32.33).

ويعد "دينيت" من أبرز المتشيعين لهذا الاتجاه المعارض لوجود الكواليا، حيث يزعم بأن هناك حالات واقعية عديدة لا تدل على الكواليا، تتمثل في أننا كثيرًا ما نؤدي أشياء بارعة دون أي تفكير على الإطلاق، لدرجة أننا نؤديها أوتوماتيكيًا أو بلا وعي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، لو أننا مستغرقون في النوم ولاحظنا أن ذراعنا اليسرى قد أصبحت مثنية في وضع يؤدي إلى إجهاد مفرط للكتف اليسرى، فإن هذا الشيء لا يعد جزءًا من خبراتنا، لذا فقد نتزحزح سريعًا وبلا وعي إلى وضع أكثر راحة دون أن ينقطع نومنا، ولو طلب منا أن ننظر إلى هذا الأمر على أنه جزء من حياتنا العقلية فلن نستطيع الإجابة؛ وذلك لعدم كون ذلك الأمر جزءًا من حياتنا العقلية(دينيت،٢٠٠٣، ص١٨).

ترتب على ذلك نظرة "دينيت" إلى الروبوتات الذكية على أنها واعية. وتأكيدًا لذلك وجدناه ينظر إلينا نحن – البشر– على أننا نوع من الروبوتات أو آلات تحكم ذاتي معقدة وغير عادية، وتدعم نفسها جسديًا. والغريب في ذلك، أنه كان يعتقد بأن ما

انتهى إليه ينتقده الكثير من نقاده مؤكدين على أن ما انتهى إليه لن يحدث أبدًا، إلا أنه لم يهتم بهم على الإطلاق(دينيت،٢٠١١،ص ٢٩١)، إلا أنه في المقابل اهتم بمناقشة التساؤل الذي ما يزال يشغل الكثيرين من الفلاسفة بل ويمثل معضلة أمامهم لسنوات عديدة، ذلك التساؤل المتعلق بـ إمكانية مقدرة الآلات على التفكير مثل الإنسان أم لا؟، بهدف التأكيد على أن الفلاسفة عندما يشرعون في الإجابة عن هذا التساؤل فقد يغفلون الأهمية الاجتماعية الحقيقية للإجابة عنه والمتمثلة في القوة المعرفية الحقيقية للآلات الذكية، وذلك لما تقوم به من مهام صعبة من ناحية، واعتمادنا – نحن البشر– على قوتها المعرفية من ناحية أخرى(Dennett,2004,p.269).

كما يعد "فتجنشتين" (١٨٨٩–١٩٥١) من أشد المعارضين لوجود الكواليا؛ حيث يعتقد في أن الكائن البشري – وليس العقل– هو الذي يدرك ويفكر، وله رغبة وفعل وشعور بالسعادة والحزن، كما رفض القول بأن الاستبطان ملكة للحس الداخلي أو مصدر لمعرفة الخبرة الخاصة على الإطلاق(إسماعيل،٢٠١٨، ص٤٥). من ثم، وجدناه غير مهتم بالحديث عن الكواليا بطريقة مباشرة، إلا أنه تحدث عن فكرة الشيء الخاص الذي يدركه المرء عندما يكون لديه إحساس يشعر به مثل الألم. كما أنكر القول بوجود مثل هذه الأشياء الخاصة، وهذا هو الذي جعله ينكر ما يشار إليه اليوم بصفة عامة باسم الكواليا(Feser,1999,p.48). ناهيك عن ذلك، فقد استبعد الفكرة القائلة بأن الأحاسيس هي أشياء خاصة أو على الأحرى كواليا(Feser,1999,p.65)، وسلم باستحالة وجود طريقة يمكن من خلالها فحص فكر الشخص أو فحص ذاكرته في حالة الكواليا؛ طنًا منه بأن ذلك يوجد ويتحقق فقط في حالة وجود أهداف وأشياء عامة(Feser,1999,p.53).

ونجد" ديفيد لويس" يرفض الكواليا حيث يخبرنا، ولاسيما عند مناقشته لحالة الإحساس بالألم، بأن الألم هو شعور، وأننا عندما نشعر بالألم، فإن هذا الأمر يتطلب وجود ألم بالفعل، ولكي نعتبر حالة من الحالات ألمًا، وحتى يصبح الألم محسوسًا فينبغي أن يكون الألم متمثلًا أمامنا تمامًا. هذا يعني أن"لويس" يريد أن يقول لنا أن وجود الألم والإحساس به أمر واحد، ولا وجود لواحد دون الآخر، وأن المادية لها علاقة رئيسًه بحالة الألم. وهذا جعله يؤكد على المادية وينظر إليها على أنها تلعب دورًا رئيسًا في تحديد الحالات النوعية المفترضة التي تتعلق بالمخ(Crane,2000,p.p,22.23).

كما أننا لو نظرنا إإلى "دينيت" لوجدناه يذكرنا بـ "فتجنشتين"؛ إذ يتشابه معه في إنكاره لوجود الآلام أو الإحساس بالقشعريرة أو الزغزغة أو الخبرات والتجارب الحسية بوجه عام(Feser,1999,p.68)، حيث يرفض "دينيت" بعض النظريات التي تهتم بالوعي، وترى أن هناك شيئًا لا يمكن أن يوصف ولاسيما في الخبرات الإدراكية الحسية(بما في ذلك الخبرات الإدراكية المتعلقة بالبصر، والشم، والخبرات المسببة للألم وما إلى ذلك)؛ حيث إن هذه الخبرات يمكن أن تثير الجدل من وجهة نظر"دينيت"، فعلى سبيل المثال، قد نرى مكعبًا أخضر، ثم نرى بعد ذلك المكعب ذاته على أنه أزرق بنفس البعد والموقع الذي رأينا فيه المكعب في المرة الثانية، مرجعين سبب الاختلاف بين التجربتين إلى اختلاف الكواليا(Odom,2008,p.111).

من ثم اهتم "دينيت" اهتمامًا بالغًا بتقديم قائمة مشهورة حدد فيها الخصائص الجوهرية للكواليا، وتتميز هذه القائمة بكونها قائمة مشددة وصارمة، أصر على تقديمها من أجل إيضاح أنه في النهاية لا توجد كواليا على الإطلاق. وتبعًا لما ذكره "دينيت" فإن هناك أربع خصائص تميز الكواليا؛ هي: (أ)- لايمكن نقلها أو فهمها بأية وسيلة

سوى الخبرة المناسبة(Manzotti,2008,p.p,181)، أو على الأحرى هي مفهوم يفوق الوصف؛ حيث لا يمكن للمرء أن يخبر أي شخص آخر- بغض النظر عن مدى فصاحته ومدى تعاونه معه- عن الحالة الفعلية الحالية التي يشعر بها عندما يرى، ويتذوق، ويشم، وما إلى ذلك(Gardner,2002,p.31) (ب)- جوهرية، أي أنها خصائص غير ذات صلة ببعضها البعض، ولا تتغير استنادًا إلى علاقة الذات بالأشياء الأخرى. (ج)- خاصة، حيث إنه من غير الممكن عمل مقارنات شخصية للكواليا. (د)- يمكن إدراكها مباشرة في حالة الوعي(فإذا أردت إدراك الكواليا، فإنه لابد لك أن تعرف بأن شخصًا ما يجرب الكواليا)(Manzotti,2008,p.p,181.182).

يشير ذلك إلى أن "دينيت" يزعم بأنه لا توجد هناك خصائص عقلية جوهرية لخبراتنا، ولا توجد خصائص لخبراتنا التي يمكننا أن نفكر فيها بشكل مباشر وذاتي(Kind,2001,p.155). كما يزعم أن نظرية الكواليا هي نظرية قاصرة؛ حيث إنها لا تساعدنا في تفسير بعض الظواهر الغريبة التي تظهر في محيط حياتنا. وتأكيدًا لذلك فقد ضرب لنا مثالًا على ذلك بـ مريضين: الأول يرى أن الأشياء الموجودة على الجانب الأيمن تدرك بلون معين، بينما تُرى في الظلام بلون مختلف. ولم يكن هذا المريض قادرًا على معرفة أو تسمية أي لون في الجزء الأيسر من الرؤية، وبمجرد أن يمر أي جزء من هذا الشيء الملون أمام عينيه ولكن في شكل رأسي، يظهر أمام عينه ويستطيع أن يميزه بشكل جيد. أما المريض الثاني، فإنه يفشل في جميع المهام التي يقوم بها حيث كان يعرض عليه اللون، ولكنه يفشل في تسميته أو معرفته، غير أنه في الوقت نفسه قد نجح في جميع المهام اللفظية وغير اللفظية، ولذلك، فقد استطاع أن يذكر بشكل صحيح أسماء الألوان التي تنطبق على الأشياء المعروضة والعكس.

واستطاع كذلك أن يناسب الألوان مع الأشياء وأن يناسب الألوان مع بعضها البعض، ومع صور الأشياء وأن يصنف الألوان دون خطأ.

إن ما استنتجه "دينيت" من ذلك هو أن هناك تناقضًا واضحًا بين هذين المريضين: فكلاهما ليس لديه القدرة على تسمية الألوان الخاصة بالأشياء على الأقل في جزء من مجالهما البصري. ولكن بينما يدرك المريض الأول منهما هذا القصور، إلا أن المريض الثاني لا يستطيع إدراك ذلك. لذا تراءى لـ" دينيت" بشكل قاطع أن هاتين الحالتين تضيفان مزيدًا من الحيرة والتعقيد الناتجين عن الكواليا(Johnsen,1997,p.p,59.60).

لم يتوقف "دينيت" عند هذا الحد، بل اهتم بتقديم حجة حاول من خلالها الهجوم على الكواليا، وأطلق على الحجة مصطلح" كواليا الألم Pain Qualia"، حيث بدأ حجته من خلال رسم مخطط انسيابي بهدف تحديد الهيكل الوظيفي لأسباب وآثار الألم، ثم جادل مؤكدًا على أن كواليا الألم لم تلعب أي دور في المخطط الانسيابي مضيفًا أن إضافة كواليا الألم إلى المخطط الانسيابي لا يزيد من قوتها التفسيرية بل يؤدي إلى مشاكل لا حصر لها(Gardner,2002,p.19). والجدير بالذكر، أن جميع الآراء والحجج التي اعتمد عليها "دينيت" لرفض الكواليا، تهدد جميع الآراء التي أطلق عليها" شالمرز" الواقعية الظاهراتية التي ترى أن هناك خصائص ظاهراتية أو كواليا لا يمكن القول بأنها تتمتع بخصائص مادية أو وظيفية(Alter,2008,p.247).

علاوة على ذلك، نلاحظ أن كلًا من "بول تشيرشلاند، وباتريشا تشيرشلاند Patricia Churchland "(b,1943–....) قد حاولا جاهدين التقليل من أهمية الكواليا ولاسيما في الفلسفة؛ وذلك من خلال تفسيرهما الخاطئ لطبيعة الإدراك، حيث ذهبا إلى القول بوجود هويات نظرية داخلية قليلة أو لاتوجد نهائيًا؛ وذلك منذ منتصف القرن

العشرين(Crooks,2008,p.203)، كما اهتما بتقديم تفسير غير كاف لشرح الوعي الظاهراتي، أو الكواليا، لدرجة أن بعض الفلاسفة قد نظر إلى تفسيرهما على أنه تفسير لا يتلاءم و طبيعة الكواليا، وبالتالي لا يكفي لشرح الوعي الظاهراتي(Oyelakin,2009,p.p,19.20).

هذا يعني، أنهما يتبنيان وجهات نظر غير متناسقة؛ من أجل الهجوم على الكواليا وإنكار وجودها تمامًا، حيث يخبرنا" بول تشيرشلاند" بأن الحموضة أو اللذوعة الموجودة في عصير الليمون مثلًا ترجع إلى التركيز النسبي العالي للأيونات الموجودة في الليمون. وعلى العكس من ذلك نجده يخبرنا بأن المذاق الذي نتذوقه في طعم الفاكهة هو ذلك المذاق الذي يكون مجرد نمط للتنشيط عبر الأنواع المختلفة من مستقبلات اللسان حسبما يحدث في الجزء المسئول عن التذوق في فم الإنسان(Crooks,2008,p.205). يشير ذلك إلى أمرين مهمين، يتمثل الأمر الأول في أن "بول تشيرشلاند" يفترض وجود ظاهرات عصبية مبتذلة بدلًا من المحتوى الظاهراتي الفعلي، يُطلق عليها اسم"الفينومينولوجيا والتمثيلات والأحاسيس أو حتى الكواليا" ويبشر بالتأكيد على وجود ما يسمى بالفلسفة الاختزالية(Crooks,2008,p.208). أما الأمر الثاني فيتمثل في اعتقاد "بول تشيرشلاند" في مقدرة الآلات على التفكير؛ وذلك لأنها مزودة ببرامج ذكية وقادرة على أداء العديد من الأنشطة المعرفية بشكل ظاهري، إذ استطاعت الآلات التفاعل مع التفاعلات المعقدة وقامت بحل المشكلات الرياضية المعقدة، وكذلك المشكلات المتعلقة بالجبر والمشاكل الفنية الأخرى. كما قامت بلعب الشطرنج وحلت النظريات وتفاعلت مع حوارات بسيطة؛ وقد استمر تطور وتحسن أدائها مع ظهور الذاكرات الكبرى، ومع

ظهور الآلات الأكثر سرعة وكذا مع استخدام البرامج الطولى(Churchland & Churchland,1994,p.159).

ووصولًا إلى الفيلسوف الأمريكي المعاصر"جورج ريGeorges Rey "(b,1945–...) فنجد أنه يؤكد على ضرورة الشك في وجود الكواليا؛ حيث يهاجم بشدة الوعي الظاهراتي. هذا يعني أنه لا يهتم بمناقشة عدم وجود الوعي الظاهراتي، ولكنه يهتم بالشك في وجوده. من ثم، فإن جمهوره المستهدف لم يكن أولئك الذين يعتقدون في وجود الوعي الظاهراتي فحسب، بل يستهدف أولئك الذين يعتقدون في أن وجود الوعي الظاهراتي يعد وجودًا غير مشكوك فيه على الإطلاق(Gardner,2002,p.23).

كما يرى "ري" أن التراث الفلسفي كثيرًا ما يميل إلى الالتزام بالحدس الديكارتي، غير أنه يعتقد في خطأ الحدس الديكارتي. وتأكيدًا لذلك نجده ينظر إلى الظواهر العقلية التالية: الفكر، القدرة على الوعي الذاتي، والقدرة على امتلاك الأحاسيس والخبرات الإدراكية، على أنها لا تمثل الوعي الظاهراتي(الكواليا)؛ حيث إن مثل هذه الظواهر العقلية يمكن برمجتها في آلة، وأن الآلة تقوم بهذه الظواهر على أكمل وجه ممكن، لدرجة أنه يمكن الشك– جزئيًا– في قيامها بهذه الظواهر العقلية إلى حد ما.

وحرصًا من "ري" على التشكيك في الكواليا، أو على الأحرى الوعي الظاهراتي، وجدناه يسرع في تقديم حجة، يمكننا عرضها فيما يلي: (أ)– يعتقد "ري" في مقدرة البشر– وهو على رأسهم– على الوعي الذاتي، والقدرة على امتلاك الأحاسيس والخبرات الإدراكية،....إلخ. (ب)– يرى" ري" أنه من الممكن إنشاء آلات وبرمجتها للقيام بالظواهر العقلية المتمثلة في الوعي الذاتي، والقدرة على امتلاك الأحاسيس والخبرات الإدراكية. وعلى الرغم من ذلك، فمن الممكن الشك جزئيًا في تمتع هذه الآلات بالوعي

الظاهراتي. (ج)- بالتالي، تراءى لـ"ري" إمكانية الشك في كونه واعيًا ظاهراتيًا الآن طالما أن هناك آلات تقوم بمثل ما يقوم به(Gardner,2002,p.p,24.25).

وعلى الرغم من ذلك، فقد قوبلت حجة" ري" بالرفض التام، حيث حاول البعض التأكيد على خطأ المقدمة المنطقية الثانية في حجته التي تنص على: إمكانية إنشاء آلة وبرمجتها على امتلاك الأحاسيس والخبرات الإدراكية بحيث يكون هناك بعض الشك في كونها واعية ظاهريًا. كما شككوا في مقدرة الآلة على القيام بالظواهر العقلية، أو على الأحرى أكدوا على استحالة وجود آلة يمكن أن تكون مبرمجة على القيام بالظواهر العقلية. فضلًا عن ذلك، حاولوا الرد على الهجوم الذي شنه "ري" على الحدس الديكارتي من ذي قبل، مؤكدين على أن المرء واع ظاهريًا وليس مجرد آلة أوتوماتيكية كما يزعم "ري". غير أن" ري" قد رد عليهم مؤكدًا على أن ما يقولونه هو مجرد ادعاء بأن المرء لديه اعتقاد معين حول حياته العقلية، وذكرهم بأن الآلة التي يقصدها تتمتع بالقدرة على الوعي الذاتي. وبالتالي، القدرة على هذا الاعتقاد كذلك، كما يمكنها أن تمتلك الحدس الديكارتي بنفس السهولة، بالإضافة إلى العديد من المعتقدات المعرفية الأخرى(Gardner,2002,p.25).

وأخيرًا، نجد " تاي" يهاجم وجود الكواليا؛ إذ يرى أن خبراتنا شفافة وواضحة، وإننا عندما نحاول التركيز فيها فسوف ندرك مضمونها وخصائصها وما يرتبط بها من أشياء(John,2010,p.337). علاوة على ذلك، تراءى له أننا نمارس الاستبطان الذاتي، إذا أدركنا كيف تبدو الأشياء بالنسبة لنا. وعلى الرغم من ذلك، لا نكون على وعي بأي شيء داخلنا، في حين أن الشيء الوحيد الذي نكون على وعي به هو الشيء الخارجي الذي يجعل الشيء يبدو لنا على الصورة الفعلية التي تبدو أمام أعيننا.

هذا يعني أن "تاي" يريد أن يخبرنا بأن وعي الشخص يعتمد على الخبرة التي تجعله يفكر – على سبيل المثال– في اللون الأزرق، وفي الشكل المربع حسبما يبدو في الواقع الخارجي. وعلى الرغم من ذلك، عندما يحول الشخص اهتمامه إلى ما يبدو داخله لمعرفة خبراته الداخلية، فسوف يركز– بلا شك– على ما هو بالخارج أيضا وعلى الخصائص الخارجية أو السمات التي تبدو له(Kind,2008,p.286)؛ كما يخبرنا بأن الطبيعة الظاهراتية هي شعور بالخبرات الذاتية الحالية. ومع ذلك، فإنه من أجل أن ندرك الخصائص الذاتية للكواليا فينبغي علينا تضمين الأمور غير العمدية؛ مرجعًا ذلك إلى أن الشخص المكتمل صحيًا يمر حتمًا بحالات ألم عندما يتم وخزه بإبرة مثلًا. فضلًا عن ذلك، فإن بعض المشاعر الظاهراتية تكون مشاعر تمثيلية، بمعنى أن فكرة معينة قد تصاحب شعورًا معينًا. ومن أمثلة تلك الخبرات، الخبرة التي يمكن أن يشعر بها الشخص بعد أن يصفع على وجهه أو يلطم لطمة(Oyelakin,2009,p.20).

وهذا يدعونا إلى التساؤل عن: أي الاتجاهين على صواب، وأيهما على خطأ؟ وهل يمكن عمل مقاربة بين هذين الاتجاهين، على الرغم من التعارض الموجود بينهما أم لا؟، وبالطبع، فإن الإجابة عن هذا التساؤل سوف تقودنا حتمًا إلى الحديث عن المحور الثالث من محاور تلك الدراسة، وهذا ما سوف نفعله عبر السطور الآتية.

المحور الثالث: الكواليا بين الواقع والخيال: محاولة لرأب الصدع بين الاتجاهات المتعارضة.

عرضنا على مدار الصفحات السابقة لمفهوم الكواليا، جذورها التاريخية، وحدودها، ثم توقفنا طويلًا عند الموقف الذي اتخذه بعض فلاسفة العقل المعاصرين من الطبيعة الأنطولوجية للكواليا، وتوصلنا إلى نتيجة مهمة تتمثل في انقسامهم إلى

اتجاهين متعارضين، أو على الأحرى اتجاه يؤيد وجود الكواليا، وآخر يعارض وجودها؛ إذ ينظر بعض فلاسفة العقل المعاصرين إلى مفهوم الكواليا على أنه مفهوم يفوق الوصف من ناحية، ومفهوم قاصر من ناحية أخرى بحجة أنه مفهوم لا يستطيع أن يفسير بعض الظواهر الغريبة التي تحيط محيط حياتنا، وكذا بحجة أن الكواليا تنطوي على خبرات لا تتمتع بخصائص جوهرية ذاتية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على إيمانهم بعدم وجود الكواليا في الأساس.

غير أن الباحث يعتقد– كما ذكر من ذي قبل– في وجود الكواليا وجودًا كيفيًا ونسبيًا، ويختلف من شخص لآخر حسب الموقف الذي يتعرض له الشخص من وقت لآخر، خصوصًا وأن هناك شواهد لا حصر لها تؤكد على وجود الكواليا التي تسهم في تنوع واختلاف الخبرات التي يمر بها الأشخاص، حيث نلاحظ– على سبيل المثال لا الحصر– أن الشخص(X) قد يعتقد أن مذاق طعام معين يختلف عن طعمه في أوقات مختلفة، بمعنى أن يكون مثلًا مذاق عصير البرتقال له طعم في البداية، وله طعم مختلف إذا ما تم تناوله بعد تناول قطعة من الشيكولاتة أو بعض الأطعمة الحلوة الأخرى. كما يجد أن هناك العديد من العوامل البيولوجية والتطورية التي تفسر الاختلافات في التجربة الإدراكية في أوقات مختلفة– فعلى سبيل المثال– غالبًا ما تصف النساء مثل هذه التغيرات(أو التفضيلات) في الذوق خلال مراحل معينة من الحمل. فالمرأة التي كانت تحب طعم ونكهة القهوة، سوف تكتشف– فجأة– أن القهوة قد تجلب لها موجات من الغثيان أثناء مراحل حملها. كما يمكن لمرضى العلاج الكيميائي أن يشكوا من أن بعض الأطعمة لم يعد مذاقها لطيفًا. وبالمثل، فإن هناك بعض الأدلة على أن تناول عنصر غذائي أثناء المرض يمكن أن يتسبب في نفور من هذا الطعام، وتحديدًا حتى بعد زوال المرض. وعلى ما يبدو أنه عندما تحدث ردود الفعل هذه في

وقت مبكر من الحياة، فإن ارتباط طعام معين بمرض شديد يمكن أن يؤدي إلى نفور مدى الحياة، لذلك من الممكن أن تختلف تفضيلات الأذواق من شخص لآخر، أو على الأحرى يمكن أن تختلف الأذواق من شخص لآخر ومن وقت لآخر (Odom,2008,p.117).

كما يوافق الباحث على ما أقره بعض فلاسفة العقل المعاصرين بشأن إمكانية وجود ما يسمى بـ" التبعية القوية للكواليا" أو" الكواليا الداخلية" بمعنى أنه إذا كان كل من الشخص(X) والشخص(Y) متماثلين من الناحية العصبية، ويعيشان في عالم تحكمه نفس القوانين، إذا، فإن خبراتهما بشأن الألوان تكون لها نفس الكواليا(Tye, Byrne & 2006,p.244)، وهذا يدل على إمكانية وجود مقاربة بين الوعي والمخ، وبناءً على ذلك يمكننا التسليم بإمكانية رأب الصدع الذي حدث عند حديث فلاسفة العقل عن إشكالية وجود الكواليا.

ومهما يكن من أمر، فسوف نحاول التدليل على وجهة النظر التي مؤداها أنه من الصعوبة بمكان لأي شخص أن ينتصر لأي اتجاه علمي أو فلسفي واحد؛ ذلك لأن التوجه نحو أحد الاتجاهات المؤيدة- مثلا- لوجود الكواليا أو المعارضة لوجودها فيه عيب وتسرع في مقدماته أو تفسيراته؛ وسرعان ما تدل الدلائل الفيزيائية أو المنطقية على بطلانه وتهافته، ذلك لأن عيوب الاتجاه الواحد كثيرًا ما قد تصلحها محاسن الاتجاه الآخر(أبو لطيف،٢٠١٩،ص٣٧)؛ خصوصًا وأن التدليل على وجهة النظر هذه سوف يسهم- إلى حد كبير- في رأب الصدع الذي حدث بسبب اختلاف بعض فلاسفة العقل المعاصرين حول الطبيعة الأنطولوجية للكواليا من ناحية، وكذا بسبب نظرة الكثير من البشر إلى الكواليا على أنها الملاذ الأخير للدفاع عن كل ما يدور في أذهاننا وحائط صد ضد المذهب الآلي من ناحية أخرى(Crane,2000,p.27).

ولعل ما يؤكد على صحة وجهة النظر– سالفة الذكر– التي يدافع عنها الباحث هو الفيلسوف الأرجنتيني المعاصر"ماريو بونجي"(Mario Bunge)(٢٠٢٠-١٩١٩)الذي يرفض قبول فلسفة العقل التقليدية(المرحلة السابقة على العلم) والتي تقوم على الفرض الذي ينص على أن كل شيء عقلي يكمن في عقل لا مادي، وعلى الرغم من ذلك يؤيد فلسفة العقل المعاصرة والعلمية (المرحلة المنطلقة من العلم)التي تقوم على التطابق النفسي والعصبي، والتي تهدف إلى الدفاع عن التصور المادي للعقل(بونجي،٢٠١٩،ص٣٦، وانظر أيضًا إسماعيل،٢٠١٨، ص٢٩٠).

كما يرى الباحث أن هناك أشكالًا عديدة يمكن أن تشير إلى التأثيرات الموجودة بين الوعي والدماغ، يتمثل الشكل الأول منها في وجود بعض الآفات العصبية التي يمكن أن نستدل منها على وجود علاقة وثيقة الصلة بين الدماغ والوعي، ومن أبرز هذه الحالات العصبية مايلي: (أ)– داء "الباركنسون"، وهو مرض يصيب بعض البشر، وقد يتسبب في ارتعاش أطرافهم وتصلب أجسادهم تدريجيًا، وينجم عنه موت خلاياهم العصبية المنتجة للمادة العصبية الموجودة في أدمغتهم والتي تسمى بـ" الدوبامين". ومن ثم يلجأ الأطباء لعلاج هؤلاء البشر الذين يصابون بمرض الباركنسون من خلال تعويضهم الدوائي لمادة الدوبامين.

ومع ذلك نلاحظ أن حدوث أية زيادة في الجرعة العلاجية التي يتلقاها بعض المرضى بمرض الباركنسون سوف ينتج عنها تغيرات مثيرة في عواطفهم واندفاعاتهم وسلوكياتهم؛ إذ يقعون فريسة للولع القسري في سبيل الحصول على الجوائز والمكافآت فينخرطون في لعب القمار والتسوق وشراء بعض الأشياء التي لا يحتاجونها أو التي لا يرغبون فيها. كما يفرحون بشراء الثياب الجديدة ليس لحاجاتهم إليها، وإنما يفرحون لشرائها فحسب، وكذا لا يحصلون على المتعة عند الربح أو الخسارة بلعب القمار،

وإنما يفرحون باللعب نفسه. ناهيك عن ذلك، أنه سوف تزداد عندهم حدة ميولهم الجنسية على نحو غير طبيعي وفاضح، وسوف يحدث لهم انفصام عن ذواتهم، لدرجة أنهم لا يستطيعون التمييز بين واقعهم وخيالهم بسبب زيادة جرعات الدوبامين في الدماغ(أبو لطيف،٢٠١٩،ص ص٣٥،٣٤).

كما توجد حالة عصبية أخرى (ب)- تعرف بداء "أوباك- ويث" وهو مرض وراثي نادر يحدث فيه ترسبات للكالسيوم في الجلد والبلعوم وفي اللوزة المخية الموجودة في الفص الصدعي من المخ. وتؤدي إصابة اللوزتين المخيتن بهذا الداء إلى انعدام الشعور بالخوف والغضب لدى المصابين فيصبحون انبساطيين واجتماعيين ومنفتحين بصورة واضحة ولافتة وتسيطر على حياتهم العواطف الايجابية وتخلو منها العواطف السلبية.

ويتمثل الشكل الثاني في المعالجة عبر الدواء الوهمي(البلاسيبو)، حيث يُعطى المريض دواء لا يؤثر فعليًا في المرض الذي يشكو منه المرضى، بل قد لا يكون له أي تأثير من الأساس، كأن نعطيهم حقنة من الماء والملح عن طريق الوريد للمرضى المصابين بشلل هيستريائي، فينتفضون كأنهم لم يكن بهم أي شلل على الإطلاق. بالتالي، يؤثر الدواء الوهمي تأثيرًا إيجابيًا في شفاء بعض المرضى، بالإضافة إلى تأثيره السببي المادي؛ إذ يتحسن الكثير من المرضى المصابين بالشلل الهيستربائي من تأثير التوقعات الإيجابية للدواء بصرف النظر عن أي تأثير علاجي له(أبو لطيف،٢٠١٩،ص ٣٥).

أما الشكل الثالث فيكمن في إيحاءات التنويم المغناطيسي، إذ من الممكن وضع شخص في حالة إيحائية تنويمية وإعطاؤه تعليمات للقيام بفعل ما استجابةً لإشارة محددة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قد يخبر الشخص المعالج الشخص الخاضع

للتنويم بأنه ينبغي عليه أن يسقط أرضًا ويزحف على يديه وركبتيه عند سماعه للجملة التي مؤداها: (طائر أزرق)، وبالفعل عند سماعه لتلك الجملة لاحقًا، سوف يفعل ما يطلب منه، وعندما يسأل عن سبب زحفه سوف يختلق أية أسباب وهمية، مثل: أنه أضاع مفتاحًا وأنه يحاول البحث عنه.

ووصولًا للشكل الرابع والأخير فنجده يتمثل في تأثير بعض المواد الكيميائية في الوعي، ولا سيما الكحول، حيث نلاحظ أن تناول الشخص للكحول سوف يجعله يشعر بالانشراح والانبساط والانطلاق من القيود الكثيرة التي كان مقيدًا بها. وكذلك الحال بالنسبة لتناوله الأفيون فقد يشعر بالألم لكنه لا يكترث له، حيث يكون سعيدًا ولا يشعر بأي قلق أو كرب أو عذاب أو ألم.

ناهيك عن ذلك، فتناول الشخص للمواد المنشطة، مثل: الأمفيتامينات والكوكايين سوف تجعله يشعر بالنشوة العارمة والنشاط الجارف، فيتلذذ، ولكن لوقت قصير، كما سوف يدخل في حالة إدمان بغيضة. كما أنه لو تناول الشخص بعض المهلوسات، مثل: LSD أو على الأحرى عقار "ثنائي إيثيلاميد حمض الليسرجيك"، فسوف تحدث له تشوهات إدراكية جسمية، فيرى أو يسمع أو يشم أو يشعر بأحاسيس لا وجود واقعي لها. وقد يقوده ذلك إلى شعور ممتع إذا كانت المهلوسات من نمط مفرح ومبهج أو إلى شعور بالذعر والهلع الشديدين إذا كانت الهلاوس مخيفة(أبو لطيف،٢٠١٩،ص ٣٦).

بناءً على ما تقدم، ينبغي علينا الإقرار بثلاثة أمور مهمة، يتمثل الأمر الأول في ضرورة رفض الحل الذي قدمه" بول تشير تشلاند" لمشكلة الكواليا، ذلك الحل الذي أرسى قواعده على نهج الإقصاء أو الإلغاء(Eliminativism) الذي يشير إلى أن مفهوم الكواليا– إلى جانب مجموعة من مفاهيم المخ والعقل الأخرى– لن يكون

جزءًا من الفهم الكامل للعلوم العصبية، أي أنه يرى ضرورة إقصاء أو إلغاء جميع الظواهر العقلية التي يعجز القائلون بالإقصاء عن تفسيرها، بحجة أنها ليست موجودة بالفعل من وجهة نظره.

هذا يعني أننا لا نوافق " بول تشير تشلاند" في الحل الذي قدمه؛ ذلك لأن هناك مشكلة قد نتجت عن الحل الذي اقترحه، وتتمثل هذه المشكلة في أنه لا يوجد ضمان فعلي يؤكد أن المشكلة سوف تزول ببساطة. وحتى إذا قمنا بعمل وإجراء الطرق الصحيحة المتبعة في العلوم العصبية، فما هو الأساس الذي يعتمد عليه هذا المعتقد ويؤكد من خلاله على أن كل مفهوم من مفاهيم العقل والمخ سوف يكون من السهل إقصاؤه أو إلغاؤه؟، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك بعض المفاهيم الأخرى التي تم إقصاؤها؟. وللأسف لم يتم الرد على هذا السؤال بشكل ضمني. علاوة على ذلك، فإن القائلين بالإقصاء لم يوضحوا جيدًا الأشياء التي يجب إقصاؤها، والأخرى التي لا يجب إقصاؤها. وقد يبدو الأمر أن جميع المفاهيم الحالية الخاصة بالمخ والعقل سوف يتم إقصاؤها، غير أن هذا الأمر قد يبدو غير معقول.

كما يعني أن القائلين بالإقصاء يتوجب عليهم أن يذكروا للعالم الأشياء التي يجب إقصاؤها والأشياء الأخرى التي لا يجب إقصاؤها. وهذا يتضمن أن جميع المفاهيم الحالية الخاصة بكل من العقل/ والمخ سوف يتم إقصاؤها، ولكن هذا الأمر يبدو غير معقول. وهناك مفاهيم محددة موجودة في بعض العلوم الأخرى، والتي تم إقصاؤها نتيجة لقلة الاستخدام، مثل: الدوافع، وهناك مفاهيم أخرى لم يتم إلغاؤها، مثل: القوة والزمن. وعلى الرغم مما يعتقده القائلون بالإقصاء، فإن المشكلات قد لا تنتهي ببساطة عند اقتراح وعود غامضة بحلول آجله. وللأسف فإن ما قيل في هذا الشأن لم يقدم لنا الكثير من المعلومات(Griffth & Byrne,1996,p.77).

أما الأمر الثاني فيكمن في ضرورة رفض القول بـ" الاختزال" الذي قالت به الفيلسوفة "باتريشا تشيرشلاند، واعتبرته حلًا ملائمًا لمشكلة الكواليا؛ إذ تخبرنا "باتريشا تشيرشلاند"- بأن العلم يمكن أن يقدم حلولًا لبعض المشكلات الفلسفية التي قد يعجز عنها العقل، ولاسيما مشكلتي الكواليا، العقل والجسد، حيث ضربت لنا مثالًا عرضت فيه مشكلة العقل والجسد من منظور علمي، ورأت أن نزعة الاختزال(Reductionism) هي الحل الأمثل لمشكلة العقل والجسد، والكواليا. وأخبرتنا بأن الاختزال الذي تقصده يتمثل في وصف ظاهرة معينة أو شرحها من خلال ظاهرة أخرى دون ترك أي شيء منها. وبناء على ذلك، أكدت "باتريشا تشيرشلاند" على الفرضية القائلة بأن كل خاصية تتصف بالوعي يمكن أن تختزل في شكل عمليات عصبية فسيولوجية وبيولوجية عصبية داخل المخ. بمعنى آخر، فإن ما يطلق عليه الوعي أو الحالات العقلية قد يكون محور الارتكاز الذي ترتكز عليه الدراسة الخاصة بتفاعل الخلايا العصبية في المخ البشري.

علاوة على ذلك، أخبرتنا "باتريشا تشيرشلاند" بأن العلماء قد عبروا عن عدم مقدرتهم على تفسير كل شيء خاص بالوعي؛ إذ ذهبوا إلى القول بأن العلم- وحده- هو الذي يمكننا من التوصل إلى الاكتشافات الحديثة التي يعمل العلماء من أجلها ومن أجل إثبات صحتها. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على اقتناعها بأن الاستراتيجية الصحيحة لفهم القدرات السيكولوجية هي استراتيجية اختزالية في الأساس، وتقصد بذلك فهم الآليات البيولوجية العصبية والتي تراها ضرورية. وسواء تمكن العلم من اختزال الظواهر السيكولوجية في شكل ظواهر بيولوجية عصبية أم لا، فإن هذه قضية تجريبية أخرى تحتاج إلى دراسة وبحث ولا يسع المقام هنا لذكرها(Oyelakin,2009,p.22).

ووصولًا إلى الأمر الثالث والأخير، فيتجلى في ضرورة التصدي لمحاولة "تاي" ولا سيما عندما شرع في تقديم حل لمشكلة الكواليا معتمدًا في ذلك على حجة الكواليا البصرية(Visual Qualia)، التي تتمحور فكرتها في أن الفرق بين الخبرات البصرية هو فرق واختلاف في الكواليا البصرية للشخص، حيث يؤكد "تاي" على وجود فرق في المعلومات المتضمنة في الخبرات البصرية، وأن الخبرات تبدو مختلفة ليس لأن هناك كواليا متضمنة، ولكن بسبب وجود اختلاف في المحتوى، وهو ما يؤكد كذلك على أن الجانب الشعوري لا يمكن أن ينفصل عن الجانب التمثيلي، أي أن الكواليا الخاصة برؤية اللون الأحمر ترتبط بشكل كامل بالمعلومات التي تعكسها المحفزات البصرية التي تعكس بدورها اللون الأحمر، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الكواليا لا توجد بمعزل عن المحتوى. وإحقاقًا للحق، فعلى الرغم من أهمية الحل الذي قدمه "تاي" لمشكلة الكواليا، إلا أننا نجده يفشل في تحقيق الهدف الخاص بالقضاء على الكواليا أو تفسيرها، وبينما يمكن أن تكون جميع الفروق الفردية في الكواليا مرتبطة بالفروق في المحتوى، إلا أن هذا لا يضمن أن يكون الشعور الذاتي بالخبرات هو ذاته عند الأشخاص المختلفين(Griffth & Byrne,1996,p.p,77.78)، هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الكواليا تمثل إشكالية متجددة وبحاجة دائمة إلى حلول متجددة خلاف الحلول التي تم التوصل إليها.

الخاتمة.

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة مهمة من النتائج، لعل من أبرزها ما يلي:

أولًا: تعد محاولات الفلاسفة واهتمامهم بالكشف عن طبيعة الكواليا وصلتها بالعالم الفيزيقي خارج الذهن محاولة لفهم طبيعة الوعي، وبالتالي فهي تسهم في حل المشكلة المحورية في فلسفة العقل ، أقصد مشكلة العلاقة بين العقل والجسد.

ثانيًا: تعد الكواليا مدخلًا لدراسة علم النفس الفلسفي؛ إذ إن دراسة المشكلات المتعلقة بالكواليا تجعلنا نهتم بفهم طبيعة الجانب الظاهراتي للوعي الذي يسهم- بشكل واضح- في مساعدة الخبراء في التعامل مع الأمراض العقلية، أو على الأحرى مشكلة الاضطراب العقلي الذي يسود بعض المجتمعات.

ثالثًا: توجد هناك صلة معرفية بين الكواليا والاستبطان، وتكمن هذه الصلة في أن كل كواليا خاصة بنا يمكن أن تكون- إلى حد كبير- قابلة للاستبطان، وربما تؤدي تلك الصلة دورًا مهمًا في شرح الدوافع وراء التفكير في أن كل كواليا خاصة بنا يجب أن تكون قابلة للاستبطان. من ثم، نرى أن الكواليا هي الأشياء التي نتعلمها ونعرفها من خلال الاستبطان دون الجزم بأنه يجب علينا أن نكون قادرين على استبطانها جميعًا.

رابعًا: هناك بعض التغيرات التي تحدث في كل من الكواليا وردود الأفعال تجاهها، ولا أحد يستطيع الجزم بأن كل التفسيرات التي يقدمها بشأن الحالات العقلية المرتبطة بالكواليا أو أحدها صحيحًا من وجهة نظره.

خامسًا: يرجع اختلاف الوصف في الخبرات المتعلقة بالكواليا، تلك الخبرات التي يشعر بها الشخص عندما يمر بحالة عقلية إلى ضعف الإدراك، حيث إن هناك شعورًا نتخيل فيه أن بعض الخبرات غير متاحة لأشخاص معينين، فخبراء تذوق النبيذ- على سبيل المثال لا الحصر- قد يكون لديهم خبرات لا يتمتع بها المبتدئون.

سادسًا: على الرغم من صعوبة وصف الكواليا بالدقة، إلا أننا نراها تمثل خصائص ظاهراتية ذاتية للحالات الذهنية الواعية استنادًا إلى وجود شيء يشغل تلك الحالات من ناحية، كما نرى ضرورة التأكيد على وجودها من ناحية أخرى؛ ذلك لأن كل خبرة من الخبرات التي يمر بها الشخص تكشف عن وجودها. ولعل ما يؤكد صحة

هذا الزعم هو أننا لو نظرنا حولنا وتأملنا ولو للحظة واحدة في خبراتنا عندما ننظر إلى علبة "الكانز" الموجودة على المكتب، فسوف يتولد لدينا شعور بالطعم أو المذاق الحلو عندما نرشف رشفة من هذه الصودا. وبالطبع، توجد لدينا خبرات، وجوانب نوعية لتلك الخبرات التي نشعر بها، ومن المؤكد أيضا أن هذه الخبرات التي نشعر بها تشبه شيئًا ما يجعلنا نؤمن بوجود الكواليا.

سابعًا: تعد الكواليا خاصية ظاهراتية ذاتية تسهم في مساعدة الشخص في إدراك بعض المزايا المعينة التي تشكل خبراته، فعلى سبيل المثال لو تأمل الشخص– أي شخص– في خبراته البصرية عندما ينظر بدقة إلى اللون الأصفر في محل دهانات، فمما لا شك فيه أن رؤيته لهذا اللون سوف تترك بداخله خبرة معينة تختلف تمامًا عن تلك الخبرة التي تتولد لديه عندما يرى بقعة بنية اللون داكنة. وبالطبع، فإن هذا الاختلاف الذي يشعر به الشخص يمثل اختلافًا فيما نطلق عليه الخاصية الظاهراتية الذاتية.

ثامنًا: على الرغم من أن الإحساس بالألوان والآلام والأصوات أمر يبدو واقعي بالنسبة لنا، إلا أنه لا يمكن إيجاده في العالم الذي يقع خارج نطاق عقولنا. فعلى سبيل المثال لو أردنا السؤال عن: ما الذي يمكن للعلم أن يقدمه لنا عن اللون الأزرق؟، فإن كل ما نعرفه هو أن هناك شعاعًا موجيًا كهرومغنطيسيًا معينًا ينعكس من أشياء عديدة، وبالتالي لا يوجد لون أزرق، بل مجرد شعاع فحسب.

من ثم، لا يوجد لون أزرق في العالم الخارجي، كما لا يوجد صندوق مملوء بداخله اللون الأزرق داخل المخ. أيضا لا يمكننا الاعتقاد في أن الكواليا أمر عارض على التنظيمات الوظيفية للمخ، ذلك الأمر الذي يجعلنا ننظر إلى الكواليا على أنها خصائص لأشياء مادية وغير عقلية، أو قد تكون شيئًا ملموسًا؛ حيث إن الخصائص

المادية المعقدة هي التي تكون مسئولة من الناحية السببية عن الخبرة باللون. وبناء على ذلك، فمن الممكن أن يزول الاعتراض الموجه للمادية، والذي ينص على أن المادية لا يمكن أن تفسر بعض الحالات العقلية المتمثلة في الأحاسيس وغيرها.

تاسعًا: من الممكن أن تصير الكواليا محتوى تمثيليًا للخبرات دون وجود أية فروق ظاهراتية – فعلى سبيل المثال– إذا رأينا أنا وأنت تليسكوبًا من نفس الزاوية، وحتى لو أنني لم أدركه على أنه تليسكوب وأنت أدركته كذلك، فإن الطريقة التي يبدو بها التليسكوب لكل منا تبدو مماثلة. وبالمثل، إذا نظر طفل إلى نفس الشيء من نقطة معينة، فإن خبراته سوف تتشابه مع خبراتك وخبراتي أيضا. بمعنى أن خبراتنا تتماثل – من الناحية الظاهراتية– بغض النظر عن الفروق التمثيلية. وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك جوانب للكواليا لا يمكن إرجاعها للحالة التمثيلية التي تظهر في العقل على الإطلاق؛ حيث إن الخصائص الظاهراتية تفوق بكثير الخصائص التمثيلية.

عاشرًا وأخيرًا: يتصف الإنسان – لا الإنسان الآلي– بتمتعه بالكواليا؛ ذلك لأن الإنسان الآلي يفتقر إلى الحالة النوعية التي يستمتع بها البشر عند تذوق أي شيء. ومن ثم يمكننا القول بأن الإنسان الآلي لا يعد كائنًا واعيًا تمامًا، وحتى لو استطاع الإنسان الآلي القيام ببعض المهام التي تماثل البشر، فسوف يؤديها بلا وعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا، المراجع العربية.

١- إسماعيل، صلاح(٢٠١٨)، اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٢- أبو لطيف، فندي (٢٠١٩)، فلسفة الوعي والدماغ، المجلد ٥٨، العدد ٦٧٣ وزارة الثقافة.

٣- بلوك، نيد(٢٠١١)، العقل كبرمجيات للمخ، الفصل الرابع عشر في كتاب الخيال العلمي والفلسفي: من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الفائق، تحرير، سوزان شنايدر، ترجمة، عزت عامر، العدد ١٨٥٩، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة.

٤- بونجي، ماريو(٢٠١٩)، المادة والعقل: بحث فلسفي، ترجمة وتقديم دصلاح إسماعيل، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة بالقاهرة.

٥- درويش، بهاء(٢٠٠٩)، التفسير الطبيعي المعاصر للوعي: بحث في الفلسفة المعاصرة، منشأة المعارف بالإسكندرية.

٦- دينيت، دانيل (٢٠٠٣)، تطور العقول: الطريق إلى فهم الوعي، عرض مصطفى فهمي، الطبعة الأولى، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة.

٧- دينيت، دانيل. س(٢٠١١)، الوعي في عقلي الإنسان والروبوت، الفصل السادس عشر في كتاب الخيال العلمي والفلسفي: من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الفائق، تحرير، سوزان شنايدر، ترجمة، عزت عامر، العدد ١٨٥٩، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة.

٨- شالمرس، دافيد.ج(٢٠١١)، المصفوفة كميتافيزيقا، الفصل الخامس في كتاب الخيال العلمي والفلسفي: من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الفائق، تحرير، سوزان

شنايدر، ترجمة، عزت عامر، العدد ١٨٥٩، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة.

٩- عثمان، صلاح(٢٠٠٦)، الواقعية اللونية: قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به، منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٠- لـو، إدوارد جوناثان (٢٠٢٠)، مقدمة لفلسفة العقل، ترجمة رضا زيدان وعمر بسيوني، الطبعة الأولى،ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، دار الروافد الثقافية- ناشرون لبنان بيروت.

١١- هيل، جون (٢٠١٧)، فلسفة العقل: مدخل معاصر، ترجمه ونقله إلى العربية وزوده بالشرح والتعليقات د/ عادل مصطفى، الطبعة الأولى، دار رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة.

ثانيًا، المراجع الاجنبية.

1. Alter, T. (2008), " Phenomenal Knowledge without Experience", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
2. Byrne, A & Tye, M. (2006) , "Qualia ain't in the head", Journal Compilation, Blackwell Publishing, INC.
3. Churchland, P & Churchland, P, (1994), "Could A Machine think? : Classical Al is Un likely to Yield Conscious Machines, Systems that Mimic the Brain Might, in Thinking Computers and Virtual Persons: Eassays on the Intentionality of Machines, (edit), Eric Dietrich, Academic Press Inc.
4. Crane, T. (2000), "The origins of Qualia", in the history of the Mind- Body Problem, edited by,Tim Crane & Sarah Patterson, London: Routledge

5. Crooks, M.(2008), "The Churchlands War on Qualia", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
6. Dennett, D. C, (2004), "Can Machines Think?", in, The Turing Test: Verbal Behavior as Hallmark of Intelligence, (edit), Stuart M. Shieber, Massachusetts institute of technology.
7. Feser, E.C. (1999), "Russell, Hayek, & the Mind- Body problem.
8. Gardner, T, A. (2002), "Physicalism & Qualia", Purdue University Graduate School.
9. Graham, G. & Horgan, T. (2008), "Qualia Realism, its Phenomenal Contents & Discontents", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
10. Griffith, T.w, & Byrne, M, D. (1996), "Qualia: the hard problem", in, Proceedings of the Eighteenth Annual Conference of the Cognitive Science Society, Edited by, Cottrell, G.W, Routledge: Taylor & Francis Group, London & New York( )

    https://books.google.com.eg/books?id=GC2NDwAAQBAJ&printsec=frontcover&hl=ar&source=gbs_ge_summary_r&cad=0#v=onepage&q&f=false

11. John. J. (2010), "Against Qualia Theory, Philosophical Studies: An inter National Journal for Philosophy in the analytic Tradition, Springer, Vol.147.
12. Johnsen, B. (1997), "Dennett on Qualia and Consciousness: A Critique", Canadian Journal of Philosophy, Cambridge University Press, Vol.27.
13. Kind, A. (2001), "Qualia Realism", Philosophical Studies: An inter National Journal for Philosophy in the analytic Tradition, Springer, Vol.104.

14. Kind, A. (2008), " How to Believe in Qualia", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
15. Manzotti, R. (2008), "A process- oriented view of Qualia", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
16. Nath, R, (2009), "Machine Intelligence(M1) Competence and Creativity", Al and Soc, Springer.
17. Odom, L, C. (2008), "Color: Experience, Representalionalism, & the Explanatory gap", temple university.
18. Oyelakin, R.T. (2009), "The Problem of Qualia", Journal of Psychology & Counseling, Academic Journals.
19. Potrc, M. (2008), "The World of Qualia", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
20. Searle, J. R, (2002), "Can Computers think?", in, Philosophy of Mind: Classical and Contemporary Readings, (edit) David.J. Chalmers, New York, Oxford University Press.
21. Shiller, D. (2016), "Hidden Qualia", Rev. Phil. Psych, Springer.
22. Silby. B. (1998), " The Problem of Qualia"

(https://philarchive.org/rec/SILTPO-3).

23. Smythies, J. (2008), " The Ontological Status of Qualia & Sensations: How they Fit into the Brain", in, The Case for Qualia, edited by, Edmond Wright, Massachusetts institute of Technology.
24. Speaks, J. (2006), "Functionalism & Qualia", Phil, 20208.
25. Tye, M. (2021), " Qualia", in Stanford Encyclopedia of philosophy.

https://plato.stanford.edu/entries/qualia/

Towards a Cognitive Approach to Qualia Ontology: "A Study in the Philosophy of Mind"

Abstract:

This study aims at trying to identify the ontological nature of qualia among contemporary philosophers of mind. In order to achieve this goal, it was necessary to unveil the concept of qualia, its origins, and its roots. Then we present the views of contemporary philosophers of mind regarding qualia, where we find that there are two conflicting trends regarding the ontological nature of qualia, namely: the first direction, which believes in the existence of qualia and considers it to be realistic and the second trend that opposes the existence of qualia, and views it as a pure fantasy. Therefore, it was necessary for the researcher in this research to present the views on which each of these two directions was based, and then present his point of view regarding these two conflicting directions, trying to make an epistemological approach between these two directions, as will be seen through this study.

keywords : Qualia, Introspection, The Inverted Spectrum Argument, The Explanatory Gap Argument , Consciousness.